

روايات مصرية | روايات مصرية



وعدنا لنلتقي

شريف شوقي



www.rivawayya.ga

راقب (حسام) الفتاة الجالسة إلى المائدة عن يمينه في مطعم وكافيتريا

روحيه مبتسماً .

كانت تحاول معرفة بعض أنواع الأطعمة التي تضمنتها القائمة التي قدمها

لها النادل دون أن تسعفها لغتها الفرنسية الراكبة في توضيح ما تريده .

بينما بدا النادل المسكين في حيرة من أمره محاولاً فهم ما تريده .

ورآها تتلفت حولها قائلة بلسان عربي واضح :

- لا أدري كيف أجعلك تفهم ؟ هل تتحدث الإنجليزية ؟

لكنه هز رأسه بالنفي .

فغادر مائتته متوجهاً إليها .

حيث تناول القائمة من يدها قائلاً :

- تسمعني ؟

نظرت إليه بدهشة تمتزج بالبشاشة قائلة :

- هل تتحدث العربية ؟

أوما برأسه قائلاً :

- كما ترون .. ما هو الصنف الذي ترغبينه ؟

أشارت إلى الصنف الذي يحتل المرتبة الرابعة في القائمة قائلة :
- هذا .. لكنى أريد معرفة مكوناته أولاً وطريقة إعداده .

وسرعان ما تحول إلى النادل مشيراً إلى ما طلبته ليترجم ما قالته
بفرنسية سليمة .

وقد انبسطت أسارير الرجل فأخذ يشرح له بالتفصيل مكونات الطعام
الذي اختارته وطريقة تسويته فتحول إليها ليترجم بدوره ما قاله النادل .
بينما أحست بشيء من الحرج لما سببته من ارتباك وللطريقة التي أسهب
بها في الشرح فوافقت على الفور رغم عدم استساغتها لمكوناته .. بينما
أسرع الرجل لتلبية طلباتها بعد أن وجد أخيراً من ينهى تلك المشكلة ويمنحه
الفرصة لشرح مزايا الطعام الذي طلبته .

أما الفتاة فقد تحولت بنظراتها إلى الشاب الفارع القوام صاحب الملامح
الوسيمة والذي تشوب بشرته سمرة خفيفة تزيد جاذبية لتقول له بامتنان :
- أشكرك .. في الحقيقة أنا لا أعرف إلا القليل من اللغة الفرنسية وإن
كنت أجيد الإنجليزية إجابة تامة .
ابتسم لها قائلاً :

- هذا ما تبينته .. على أية حال أنا لم أفعل شيئاً .

- هل تسمح لى بأن أدعوك لتناول الطعام معى ؟

قال دون أن تفارقه ابتسامته :

- شكرًا لك .. لكنى تناولت طعامى بالفعل .. وأشرب الشاي الآن .

واستدار عائداً إلى مائدته وهو يتساعل فى حيرة قائلاً لنفسه :

- متى رأيت هذه الفتاة من قبل ؟

كان لديه إحساس مبهم أنه التقاها من قبل .

فهذا الوجه الوردى الذى يشع حيوية .. وتلك العينان العسلتان

الناعستان والابتسامة التى تغالب خجلها .

كل ذلك يذكره بفتاة ما أو بالأحرى صبية صغيرة عرفها ذات يوم وإن

عجزت ذاكرته عن تجميع صورتها كاملة فى ذهنه .

أخذ يرمقها بنظرات مختلصة حينما فاجأته بدورها بالتفاتة مباغثة تلاقت

فيها عيناها .. وقد بدا له أنها هى الأخرى تشعر بشيء من الحيرة تجاهه .

وسرعان ما قرر إرضاء فضوله فعاد إلى مائدتها ليسألها قائلاً :

- معذرة لتطفلى لكنى أشعر بأننى أعرفك .. ألم يسبق لنا أن التقينا من

قبل ؟

رفعت بصرها إليه قائلة :

- كنت أرغب أن أسألك نفس السؤال فوجهك لا يبدو غريباً لدى .. لدى

شعور أنك ...

احتبست الكلمات في حلقها واتسعت حدقتها فجأة وهي تهتف قائلة :

- (حسام) .. أجل .. أنت (حسام حلمي) جارنا القديم في بيروت

علت وجهه الدهشة وهو يهتف بدوره قائلاً :

- وأنت (دعاء خطاب) .. لقد تذكرت الآن .

وكان النادل قد أحضر الوجبة التي طلبتها فتوقفا عن الاستطراد في

الكلام للحظة قبل أن تعاود الحديث قائلة :

- يا لها من مفاجأة .

ابتسم قائلاً :

- حقاً إن العالم صغير .

- أظن يمكنني أن أدعوك الآن لتشاركني مائدتي .

جلس وهو يحيطها بنظراته والدهشة ما زالت تعلو وجهه قائلاً :

- آخر مرة رأيته فيها كنت صبية صغيرة ذات ضفيرتين قصيرتين

ابتسمت قائلة :

- آخر مرة رأيتني فيها كنت فى الثالثة عشرة من عمرى .

وصمتت برهة وهى تتأمله قبل أن تستطرد قائلة :

- أما أنت فلم تتغير كثيراً عما كنت عليه .

- كيف ؟ لقد كنت أكبرك بأربعة أعوام حينما تركنا بيروت أنا وأسرتى ..

كنت فى السابعة عشر من عمرى وقد أصبحت الآن فى التاسعة والعشرين ..

لا بد وأن أكون قد تغيرت .

قالت وهى تتفحصه بعينيهما :

- ربما طالت قامتك بعض الشيء .. ويبدو أنك تغلبت أيضاً على ما كنت

عليه من نحافة .. وأصبح وجهك أكثر رجولة عن ذلك الصبى اليافع الذى عرفته من قبل .

لكن ما زالت عيناك تحمل تلك النظرة التى تبدو شاردة أحياناً ، ولك نفس

الابتسامة التى عاهدتها فيك من قبل .

قال ضاحكاً :

- من الغريب أنتى لم أتعرف عليك من البداية .

ضحكت بدورها قائلة :

- اثنا عشر عاماً ليس بالشيء الهين فلا بد وأن تحدث بعض التغييرات

تعالى فى ملامح المرء .. وإن كنت ما زلت مصرة على أنها لم تغير فيك الكثير .

تأملها قليلاً وقد أطلت من عينيه نظرة إعجاب قائلاً :

- بالنسبة لى أرى أنها أحدثت اختلافاً كبيراً .. فهناك فرق كبير بين تلك
الطفلة ذات الأعوام الثلاثة عشر وتلك الحسنة الجالسة أمامى الآن .

أطرقت بخجل قائلة :

- أشكرك على هذه المجاملة اللطيفة .

- أنا لا أجاملك على الإطلاق .. فقط أصف ما أراه أمامى .

وأشار إلى الطعام قائلاً :

- لا تدعيني أعطك عن تناول طعامك .. إلا إذا كان وجودى يشعرك

ببعض الحرج ..

قالت سريعاً :

- بالعكس .. أنا مسرورة أننى وجدت شخصاً أعرفه ويمكننى التحدث

معه هنا .

- لكن ما الذى أتى بك إلى (باريس) ؟

- جئت فى رحلة سياحية قصيرة إلى فرنسا وكان من المتعين أن ترافقتى

فيها إحدى صديقاتى ممن يجدن الفرنسية لكن ظروف أمت بها قبل سفرنا
يوم واحد حالت دون مرافقتها لى .

وابتسمت مردفة :

- وها أنت قد أخذت فكرة واضحة عن مدى إجادتى للغة الفرنسية

وما ترتب عليه من صعوبة تعاملاتى هنا .

- وما هى الفترة التى تتوين قضاءها فى فرنسا ؟

- من المفترض أن تكون عشرة أيام لكن يبدو أننى سأضطر إلى اختصارها بعد الأيام الثلاثة التى أمضيته فى (باريس) بمفردى وبعد اعتذار صديقتى عن مرافقتى فى تلك الرحلة .

وبدأت تتناول طعامها بتمهل فى حين كانت عيناه تتفحصانها بتمعن شديد وهو يغمغم قائلاً :

- اثنا عشر عامًا .. لقد أعادت لى رؤيتك ذكرى أعوام جميلة انقضت من عمرنا .

- أنا أيضًا لم أنس تلك الأيام الجميلة التى عشتها بين ربوع لبنان .. كانت أجمل سنوات عمرى رغم صغر سنى وقتها .

انطلقت زفرة طويلة من صدره قائلاً :

- ليتنا بقينا صغارًا ولم نتقدم بنا السنين على هذا النحو .
قالت له مبتسمة :

- نتحدث وكأنك تخطيت الستين من عمرك .

قال وفى صوته بعض المرارة :

- لقد أكسبتنى الحياة خبرات تتجاوز ضعف عمرى .. لكنها خبرات مؤلمة

مع الأسف .

تمعنت في وجهه قائلة :

- يبدو أنك عشت تجارب قاسية خلال السنوات الماضية من عمرك

- أقسى مما تتخيلين .

- كيف ؟ هل يمكنك أن تحكى لى ؟

- لا داع لأن أصدع رأسك بذلك وأفسد شهيتك .

- على أية حال .. أنا أيضًا أرى أن الحياة قد فقدت الكثير من براءتها التي

كنا نراها عليها ونحن صغار .

وتوقفت عن الاستمرار في تناول طعامها مستطردة :

- أقول لك بصراحة .. أنا لا أستسيغ هذا الصنف من الطعام .. يبدو أنني

أسأت الاختيار .

- هل تحبين أن أرشح لك صنفًا آخر .

- بل أفضل أن تغادر هذا المطعم الآن لننتحدث معًا بحرية أكثر ونستعيد

ذكريات الماضي .

يمكننى أن أكتفى بإحدى الشطائر من أى مطعم للوجبات السريعة .

- كما تشائين .

أشارت للنادل كي تدفع الحساب .. لكنه اعترض قائلاً :

- دعيني أدفع عنك هذه المرة .

- كلا لا أسمح لك بذلك .. فأنا التي طلبت هذا الطعام الذي لم آكله .

- لا تنسى أنني ما زلت رجلا شرقيًا .. صحيح أننا في (باريس) لكن ليس من المحتم علينا أن نتصرف كالفرنسيين .

ابتسمت قائلة وهي تسير إلى جواره :

- في الحقيقة لم يعد كثير من الرجال الشرقيين يتبعون هذا العرف الذي تتمسك به .. لكن يبدو أنك لم تتخل عن عاداتك القديمة .

هل تذكر حينما ذهبنا لتناول المثلجات في محل الدولفين ببيروت ؟

يومها أصررت على أن تدفع ثمن المثلجات رغم أنني كنت صاحبة الدعوة ورغم أن أبى أنقذنى مبلغًا كبيرًا من المال لأنفقه كيفما أشاء في حين لم يكن معك يومها إلا ما يكفي لدفع ثمن المثلجات بالكاد .

ضحك قائلاً :

- واضطرتك لأن تعودى معى إلى المنزل سيرًا على الأقدام رغم أن المسافة كانت بعيدة ما بين محل المثلجات والمنزل .

- هذا لأنك صمتت أيضًا أن لا أدفع ثمن تذكرتى الباص وقلت إننى لو أردت ركوب الباص فيتعين على أن أركبه بمفردى وأتركك تواصل السير بمفردك .. كنت عنيدًا .

أقول لك بصراحة .. لقد أسرنى ذلك لأنى أردت أن نسير معًا .. أقضى

بصحبتك أطول وقت ممكن .

ارتبك قليلاً . . وقد أيقظت كلماتها مشاعر قديمة لديه ظن أنها فارقة منذ أمد بعيد .

فطالما كان مغرماً بتلك الصبية الصغيرة رغم طفولة مشاعرهما في تلك الفترة .

وهو لا يذكر أنه أحس بمثل تلك المشاعر خلال الاثنا عشر عاماً الماضية رغم كثرة ما عرفه من فتيات .

أخذاً يتجولان معاً في ضواحي (باريس) مثلما كانا يفعلان من قبل في متنزهاًت (بيروت) في رفقة أسرتيهما أو بمفردهما خاصة بعد توطد العلاقة بين الأسرتين .

وبدا وكأنهما يستعيدان إحساساً إنسانياً افتقده طويلاً .

كانت (دعاء) قد جاءت إلى (لبنان) بصحبة والديها حينما التحق أبوها بالعمل في السفارة العراقية ببيروت كملحق ثقافي واستأجرت منزلاً مجاوراً لذلك المنزل الذي كانت تقيم فيه عائلة (حسام) .

وما زال يذكر أول مرة وقعت فيها عليها عيناه .

كان يلعب الكرة مع صديق له في الأرض الأسفلتية المجاورة لحديقة منزله حينما سقطت الكرة في حديقة منزلها ، فاضطر لتسلك السور الفاصل بين المنزلين لاستعادة كرتة .

لكنه فوجئ بكلب شرس ضخم الحجم يهاجمه ويكاد ينقض عليه لولا

ظهورها المفاجئ لتأمره بحزم على التراجع .

كانت صبية صغيرة فى العاشرة من عمرها وهو قد تخطى الثالثة عشر
بعده أشهر .

وبالرغم من تلك السن الصغيرة التى تغلب عليها البراءة وجد قلبه يخفق
بشدة لرؤياها .

وقد أعادت له الكرة قائلة :

- أظنك جئت لاستعادة هذه .

أخذها من يدها دون أن يتبس ببنت شفة .

فقد حال انبهاره بتلك الطفلة الجميلة ذات الشعر الأسود الفاحم والذى
تتدلى خصلاته الناعمة على جبينها ولديها تلك العينان العسلتان والبشرة
الوردية دون قدرته على النطق .

بينما استطردت قائلة بأسلوب يتخطى سنوات عمرها القليلة :

- كان يمكنك أن تأتى لاستعادتها من الباب بدلاً من القفز من فوق السور
وتعريض نفسك للخطر .

قال متلعثماً :

- آسف .. وأشكرك ..

قادتة إلى الباب الخارجى وهى تسأله قائلة :

- لقد رأيتك عدة مرات فى المنزل المجاور .. ولكنك كنت تبدو دائماً

بمفردك أو بصحبة أحد والديك .. أليس لك أشقاء صغار أو كبار ؟

- كلا .. أنا الابن الوحيد لوالدي .

- أنا اسمي (دعاء) ولى شقيق يكبرنى بعامين فقط اسمه (علاء)

صافحها قائلاً :

- أهلاً يا (دعاء) .

- وأنت ما اسمك ؟

- (حسام) .

- أتمنى لو صرنا أصدقاء .. فقد جئنا إلى هنا منذ شهر واحد فقط ولم

نتمكن من عمل أى صداقات مع أحد بعد .

قال مبتسماً :

- هذا شيء يسعدنى كثيراً .

لم يكن جمال وجهها الملائكى هو الذى أثار إعجابه فقط .. بل أسلوبها

الهادئ فى الحديث وثقتها بنفسها بما ينم عن نضج مبكر .

بدت بالنسبة له وقتها جريئة بأكثر مما يجب رغم أن ملامحها الطفولية

لم تكن توحي بذلك .

ومنذ أن تعارفا وصارا صديقين وهو يراها تأخذ زمام المبادرة فى أمور

كثيرة .

كان ذلك يغضبه أحياناً ويدفعه إلى التصرف معها بعناد وتطرف بعض

الوقت .

خاصة أنها أشعرته دائماً بأنه أقل منها جرأة وقدرة على التعبير عما

يجيش في صدره نحوها من مشاعر .. لكنه كان يجد نفسه مستسلماً لإرادتها في أوقات كثيرة .

وحتى في هذه المرة حينما التقيا مجدداً بعد فراق سنوات طويلة ها هي تأخذ زمام المبادرة وتدعوه لمرافقتها في نزهة .. وها هو ما زال يفقد الجرأة الكافية ليصارحها بحقيقة مشاعره تجاهها خلال سنوات الصبا البعيدة رغم أنه لا تنقصه الجرأة تجاه غيرها من الفتيات اللاتي عرفهن في أوقات سابقة .

وتداعت الذكريات في ذهنه عن تلك الفترة التي جمعت بينه وبين (دعاء) قبل أن يتفرقا .



الفصل الثاني

توطدت الصلة بينهما طوال الفترة التي عاشتها (دعاء) في (لبنان)
ونمت مع الأيام حتى أن أحدهما لم يكن يستطيع أن يمر عليه يوم دون أن
يلتقى بالآخر .

كان يظنه حبا طفوليا ستمحوه الأيام والسنين .

ثم غادرت (دعاء) مع والديها ذات يوم بعد أن التحق أبوها بالعمل في
إحدى السفارات في بلد آخر .

ومرت السنين بعدها عرف خلالها الكثيرات وازداد نضجا ورجولة عن
ذلك الفتى اليافع الذي كان عليه يوما دون أن تمحى صورتها من قلب
ووجدانه .

لم يجد تسمية حقيقة لتلك المشاعر التي ظلت ترافقه نحوها بقية عمره .
فلا يمكن تسميتها حبا بالمعنى الصادق لتلك الكلمة .

حيث إن مشاعر أي منهما لم تكن على درجة من النضج تسمح بادعاء
ذلك .

لكنها كانت المرة الأولى بلا شك التي تفتحت فيها أحاسيسه تجاه إنسانة
ما .

ولا يظن أنه عرف في حياته بعدها أحاسيس مماثلة .

تحول إليها وهما يسيران معاً ليسألها قائلاً :

- أما زال والدك يعمل فى المجال الدبلوماسى ؟

- والذى توفى منذ سبعة أعوام ولحقت به والدتى بعد شهرين فقط من وفاته .

- أنا آسف .. رحمهما الله .

واستطرد قائلاً :

- وماذا بشأن أخوك (علاء) ؟

- (علاء) عاد إلى (العراق) وادو يعيش ويعمل هناك .

- لكن ما الذى أتى بك إلى (باريس) ؟ لا أظن أن الظروف التى تعيشها

(العراق) حالياً تسمح برحلات سياحية كنتك التى أتت بك إلى هنا .

- لقد غادرت (العراق) قبل بداية الغزو الأمريكى بعام واحد فقط بعد

أن حصلت على منحة دراسية للحصول على الماجستير من إحدى الجامعات
الأسكتلندية فى الأدب الإنجليزى .

وبعد أن حصلت على الماجستير بتقدير مرتفع التحقت بالعمل فى
الجامعة هناك .. وقررت البقاء فى أسكتلندا بصفة دائمة خاصة بعد سقوط
بغداد على يد الاحتلال الأمريكى .

وهذه الرحلة إلى فرنسا هى منحة حصلت عليها من الجامعة كمكافأة
على بعض المجهودات التى قدمتها لصالح إدارة الأبحاث الثقافية بالجامعة .

- إذن فأنت تقيمين في أسكتلندا بصفة دائمة .

- ولدى شقة متواضعة هناك .

- وهل ما زال الاتصال بينك وبين (علاء) قائمًا ؟

- نتصل ببعضنا من آن لآخر .. أنت تعرف أن الوضع في (العراق)

أصبح سيئًا للغاية وفي كل شيء حتى في مجال الاتصالات .

وما لبثت أن تحولت إليه لتسأله :

- أظن أنه جاء دورى الآن لأسألك .. ما الذى جاء بك إلى (فرنسا) ؟

- أنا أيضًا توفى والدى ولم يعد لى أحد فى لبنان .. لذا جئت لأجرب حظى

فى (فرنسا) .

عملت مراسلا صحفيا بعدة مؤسسات صحفية فترة من الوقت ثم استقنوا

عن خدماتى .. سافرت بعدها إلى كندا حيث أقمت هناك لبضعة أشهر دون

أن أحقق نجاحا ملموسا فى المكان الذى عملت فيه فعدت إلى (فرنسا) ثانية

واكتفيت بالعمل فى إحدى الشركات التجارية براتب مقبول يكفى لإعاشتى

حياة لا بأس بها .

المهم أننى وطلدت نفسى على أن أتعامل مع الواقع وأؤجل طموحاتى

وأحلامى فترة من الوقت .

نظرت إلى أصابعه قائلة :

- أرى أنك لم تتزوج بعد .

ضحك قائلاً :

- بعد كل ما أخبرتك به عنى ... شخص غير مستقر .. يتنقل من عمل إلى آخر دون وظيفة مستقرة ويعيش حياة بوهيمية نوعاً ما .. كيف لمثله أن يفكر فى الزواج ؟

هذا بالإضافة إلى أننى لم أجد الفتاة المناسبة بعد .

واستطرد قائلاً وهو ينظر إليها :

- وأنت ألم تتزوجى ؟

ابتسمت قائلة :

- لم ألتق بالرجل المناسب بعد .

- تخيلى عدنا لللتقى بعد كل تلك السنين .. وأين ؟ فى (باريس) .

- هل تصدقنى لو قلت لك أننى كنت أشعر دائماً أننا سنعود لللتقى يوماً

ما ؟

- لقد حاولت الاتصال بك ومراسلتك بعد سفرك لكنى لم أنجح فى ذلك .

- لقد أقمنا في بغداد عشرين يوماً فقط بعد مغادرتنا لبنان وبعدها سافرنا إلى إيطاليا بعد أن عين أبي في سفارتنا هناك وكنت قد فقدت هاتفي وعنوان مراسلاتك أثناء السفر .

وبعد أن أقمنا في إيطاليا لمدة عامين سافرنا مرة أخرى إلى أستراليا . أنت تعرف الطريقة التي يحيا بها العاملون في المجال البلوماسي وأسرهم .

ثم إنني كنت لا أزال فتاة صغيرة لا تجيد التصرف على النحو الأمثل .. وبالرغم من ذلك حاولت مراسلتك على عنوانك في (بيروت) بعد أن حصلت عليه من والدتي .. لكني لم أتلق منك أي رد على رسائلي ..

- ونحن أيضاً انتقلنا من المنزل الذي كنا نقيم فيه إلى منزل آخر في الضواحي .

كنا صغاراً كما تقولين لكن من الغريب أن تنقطع الصلات بين الأسرتين على هذا النحو برغم توطد العلاقة بينهم حينما كنا جيران .

- ظروف تنقلات أبي ومرض والدتي الذي صاحبها لفترة طويلة وقف حائلاً دون ذلك .

هز رأسه قائلاً :

- وكذلك الأموال التي خسرها أبي في البورصة كادت تذهب بعقله وقلبت حياتنا رأساً على عقب .

قالت بأسى :

- مع الأسف لقد ولت الأيام الجميلة .

توقف ليتأملها للحظة قائلاً :

- حينما رأيتك اليوم أحسست أن تلك الأيام قد عادت من جديد .

تنهدت بعمق قائلة :

- ليت ما نقوله صحيحاً .. لكن يبدو أن الزمان يأبى إلا أن يأخذ منا كل

ما هو جميل ولا يمنحنا إلا قسوته .

- لم تلك اللهجة المتشائمة ؟ أنت إنسانة ناجحة فى حياتك العملية .. لديك

وظيفة مرموقة وزادتك السنين جمالاً تحسدك عليه الكثيرات .

عادت لتتنهد قائلة :

- لكنى أصبحت وحيدة فى هذه الدنيا .. فقدت الأب والأم ..

عاجزة عن العودة إلى وطنى الذى أصبح محتلاً ويعيش كل يوم مأساة

مكررة .

عاجزة حتى عن رؤية شقيقى الوحيد والاتصال به والتعرف على مصيره .

صمت برهة قبل أن يعقب قائلاً :

- لا شئ يبقى على حاله .. فالزمن كما يأتى لنا بالتعاسة أحياناً قد يعود

ليأتى لنا بالفرح أيضاً .

ابتسمت قائلة :

- أحبك على هذا التفاؤل .

- لقد أوضحت لك الظروف التي عشتها خلال السنين الماضية وهي

لا توحى بالتفاؤل كما ترين . . ومع ذلك ما زالت أتمسك بأحلامي وطموحاتي

وعاد ليتوقف فجأة قائلاً :

- هل يمكن أن تنتظري قليلاً ؟

نظرت إليه باستغراب وهو يسارع بعبور الطريق إلى الجهة المقابلة

ليتوقف أمام محل لبيع المثلجات .

ثم ما لبث أن عاد إليها حاملاً بولتين من الجيلاتى قدم لها إحداها قائلاً :

- بالفستق والفانيليا كما كنت تفضلين دائماً .

ضحكت قائلة :

- أما زلت تذكر ؟

أحاطها بنظراته الدافئة قائلاً :

- لم أنس أى شيء يخصك .

انشغلت بلعق الجيلاتى وهى تتجاهل النظر إليه حتى لا يلحظ ارتباكها .

بينما وجد فى نفسه الجرأة ليستطرد قائلاً :

- وأنت .. هل أنستك السنين ما كان بيننا ؟

قالت له بصوت خافت مضطرب :

- كيف أنسى تلك الصداقة الجميلة التى جمعت بيننا ؟ قلت لك إننى كنت

أشعر دائماً أننا سنلتقى ثانياً .. ألا يكفى هذا لتعرف أننى لم أنس صداقتنا

أبداً ؟

غمغم قائلاً :

- ما بيننا كان أكثر من مجرد صداقة .

رمقته بنظرة فاحصة قائلة :

- ماذا تقصد ؟

أحست بعينيه تكادان أن تنفذا إلى أعماقها وهو يحدجها بنظراته قائلاً :

- كنت أول فتاة تتفتح لها مشاعرى وأحاسيسى .

قالت له مبتسمة :

- لا تنس أننا كنا صغاراً بالقدر الذى لا يمكننا أن نحكم فيه على مشاعرنا

حكماً حقيقياً .

- أظن أن مشاعرنا كانت تسبق أعمارنا في هذه الفترة .

قالت وقد عاودها الارتباك :

- أنا مضطرة لمفارقتك الآن .. فلدى موعد هام مع إحدى صديقاتي في الفندق الذي أقيم فيه .

قال لها منزعجاً :

- لكننا لم ننه كلامنا بعد .

- ربما نستكمل حديثنا فيما بعد .. أما الآن فأنا مضطرة لتوديعك .

قال لها ملحاً :

- يمكنني أن أوصلك إلى الفندق .

- لا داع لذلك فهو قريب من هنا .

ونظرت في ساعتها بارتباك قائلة :

- إنني سعيدة حقاً أن أراك مرة أخرى .

عاد ليلح عليها قائلاً :

- سنتقابل ثانية .

لوحت له بيدها وهي تبتعد سريعاً قائلة :

- بالتأكيد .

غابت عن عينيه تدريجياً بينما وقف جامداً في مكانه كما لو كان قد أم

لم يدر سر انزعاجه لرحيلها المفاجئ .. وذلك الاحساس الذى انتابه بعد مفارقتها له بأنه عاش للحظات حلماً جميلاً ثم انتهى فجأة .

وما لبث أن انتفض فى مكانه وقد تنبه لخطئه الفادح .. فهو لم يسألها عن عنوان فندقها أو حتى يعرف رقم هاتفها .

وتملكه إحساس بالحنق الشديد وهو يغمغم قائلاً لنفسه :

- يا لى من أحق كيف فاتنى ذلك ؟

ووجد نفسه يسرع مهرولاً وهو يحاول اللحاق بها قبل أن تبعد .. لكنها كانت قد اختفت تماماً .

ظل يدور حول نفسه وهو فى حالة من الغضب الشديد .

لقد بدا كما لو كان قد عثر على شيء ثمين للغاية ما كاد يجده حتى أفلت من بين يديه .



لم يستطع أن يمنع نفسه من التفكير فيها وهو جالس فى نفس الكافيتريا التى التقيا بها أول أمس .

فقد بقيت صورتها ماثلة أمام عينيه منذ هذا اللقاء وهو يتمنى من أعماق قلبه لو مكنه القدر من الالتقاء بها ثانية .

وظن للحظة أن تلك الصورة التى تلاحقه قد تجسدت إلى واقع حينما رأى وجهها يتطلع إليه من خلف زجاج الكافيتريا وهى تلوح له .

لم يصدق ما رآه في البداية حتى إنه فرك عينيه بأصابعه ظناً منه أنها
تخدعانه . وأن ما يراه غير حقيقى .

لكن سرعان ما تأكد أن عينيه لم تكذبانها وأن تلك الفتاة التى تلوح له من
خلف الزجاج هى (دعاء) بالفعل .

انتابته سعادة غامرة ارتسمت ملامحها على وجهه وهو يهب واقفاً
ليشير لها بأن تأتى .

لكنها أشارت له أن يغادر الكافيتريا ليقابلها فى الشارع . فغادر مائداً
على الفور ليلحق بها على الرصيف المجاور .

تطلع إليها بلهفة عارمة قائلاً :

- كنت أظن أننا لن نلتقى ثانية لكنى تمسكت بالأمل .

ابتسمت قائلة :

- وأنا كنت أعرف أننى سأجدك هنا .

- وكيف عرفت ؟

- هل نسيت أنك أخبرتنى فى لقائنا الأخير أنك اعتدت التردد على هذا

المطعم لتناول طعامك ؟

قال وهو يسير برفقتها :

- لقد ذهبت فجأة دون أن تخبرينى بعنوان فندقك أو حتى رقم هاتفك .

ضحكت قائلة :

- أنت لم تسألنى .

- فعلاً .. كانت هذه حماقة منى .

- وأنا أيضاً شاركتك تلك الحماسة حينما لم أسألك عن عنوانك أو رقم هاتفك .. إذن فنحن متعادلان .

- بحثت عنك طوال اليومين الماضيين دون جدوى .

اضطربت قليلاً وقد تبذلت ملامحها وهى تسأله قائلة :

- بحثت عنى أين ؟

قال وهو يستغرب اضطرابها المفاجئ :

- فى بعض الفنادق الصغيرة والقريبة من المكان الذى افترقنا فيه .

- أجهدت نفسك لا داع .. الفندق الذى أنزل فيه أبعد كثيراً من المنطقة

التي بحثت عنى فيها .

- لكنك قلت

قاطعتة قائلة :

- أعرف ما قلته لكن الحقيقة هى أننى تعمدت أن أخفى عنك مكانى .

قال وقد ازداد استغرابه :

- لماذا ؟

الفصل الثالث

هزت كتفها قائلة :

- لا أدري .. ربما لأنى كنت أخشى من لقاء آخر بجمعنا .. خاصة بعد
تملكنى شعور بالقلق فى نهاية لقائنا .

- لم ألحظ ذلك فقد أعربت عن سعادتك وقتها بلقاء شخصى تعرف
وقتئذ أن هذا سيساعدك على تبديد ما تستشعرينه من وحدة واغتراب فى
مدينة كبيرة كهاريص .

نظرت إليه قائلة :

- لكنك لست أى شخص يا (حسام) .

وواصلت سيرها وهى تستطرد قائلة :

- لا أنكر أننى سعدت حينما التقيتك .. لكنى فكرت فى نهاية لقائنا فيما
سينول إليه الحال فيما بعد .

فبعد أيام قليلة سنضطر لأن نفترق من جديد مثلما حدث من قبل مع
ومع كل من أحببتهم وكانوا قريبين منى .

تأملها قائلاً :

- هل تريننى قريباً منك حقاً ؟

- ألم تلمهم بعد ؟ كان يتعين عليك أن تكون مدرعاً أنك لست وحدك الذى
تفتحت مشاعره لأول مرة على هذا الإحساس المبهم الذى عرفناه سوية فى
بدايات عمرنا .

أجل كنا صغارًا لكن إحساسى نحوك كان أكبر بكثير من سنوات عمرى القليلة .. احساس لم أعرفه سوى مرة واحدة فقط طوال حياتى .

وحيثما غادرت (لبنان) ظلت لفترة طويلة عاجزة عن التغلب على ذلك الفراغ الكبير الذى خلفه فراقنا .

وحيثما كبرت حاولت إقناع نفسى بأن الأمر لا يعدو كونه مجرد مشاعر مراهقة لصبية صغيرة يتعين على أن ألقى به وراء ظهرى .

لكننى لم أنجح فى ذلك .. وبقيت تلك المرحلة من عمرى تطاردنى حتى الآن .

بقيت أحلم رغم عدم معقولية الحلم بأن الحياة ستجمع بيننا يومًا ما من جديد .

وها نحن قد التقينا .. لكن من المتيقن أننا سنضطر لأن نفترق ثانية .. وهذا إحساس لا أربغ فى معاشته وتحمل تبعاته مرة أخرى .

يكفينى فراق الأب والأم والشقيق .. لا أريد مزيدًا من الوجد .
خفق قلبه بشدة .

هذا القلب الذى ظن أن دقائقه قد خمدت منذ زمن طويل .
قال لها بنبرة هادئة :

- وبالرغم من ذلك فما أنت قد سعتى للالتقى من جديد .
أطرفت قائلة باستكانة :

- وهذا ما يثبت أنني لست قوية بالقدر الكافي وأن الصبية الصغيرة التي كنتها يوماً ما هزمت الفتاة الناضجة التي أصبحت عليها الآن وجعلتها ترضخ لرغبتها في لقائك مجدداً .. وهو ما يخيفني أكثر .

قال لها مبتسماً :

- لا يوجد ما يدعو للخوف .

رفعت بصرها إليه قائلة :

- أريدك أن تصارحنى بالحقيقة .. هل أخطأت باستسلامي لمشاعري القديمة ؟ أم أنني لست ناضجة بالقدر الذي يسمح لي بالتغلب على إحساس طالما حاولت التغلب عليه ؟

قال والدفء يشيع في نبراته :

- لا هذا .. ولا ذاك .. أنا أيضاً عاشرت ما عايشته وحاولت تفسيره على أنه مجرد حنين للماضي .. وأن تلك الذكرى القديمة التي عرفناها سوياً قد تلاشت من خيالي .

لكن حينما التقيتك وجدت أنني كنت واهماً وأن الماضى بكل ما احتواه من أحاسيس وذكريات قد عاد ليستيقظ مرة واحدة .. وأنت ما زلت تحيين في وجداني وربما دون أن أدرك ذلك .

فكل ما عرفناه من مشاعر قديمة ظننا أنها مجرد لهو صغار ، عادت لتتجدد مرة أخرى .

وكان أعمارنا لم تضاف إليها كل تلك السنوات الاثنا عشر .

لقد كدت أجن وأنا أبحث عنك وأنتقل من فندق لآخر على أجدك أو أعثر على من يرشدنى إليك .. وقد أزعجنى للغاية أن نعود لنفترق على هذا النحو .

قالت وفى ابتسامتها قدر من التأثر :

- يبدو الأمر وكأننا نعيش أحداث رواية رومانسية غير مقنعة أن نعود فنلتقى على هذا النحو لنجد أن كلا منا ما زال يحمل للآخر تلك المشاعر القديمة .

بادلها ابتسامتها قائلاً :

- وأكتشف أنتى ما زلت مفتوناً بتلك الصغيرة المشاغبة .

قالت وهى تتطلع إليه بنظراتها :

- هل تعنى ما تقوله حقاً ؟

- بكل الصدق الذى أحسه الآن تجاهك .

أدارت له ظهرها قائلة :

- بقدر ما فرحت حينما التقينا من جديد بقدر ما قلت لنفسى ليتنا ما تقابلنا .

وضع يده على كتفها قائلاً :

- لم تقولين ذلك ؟

- لأننى أخشى هذا النوع من المشاعر الذى لا يجلب لصاحبه سوى الأذى والأسى .

أدار وجهها إليه وهو يبتسم قائلاً :

- الحب يأتي بالسعادة لا الأسى .. أنت لا تعرفين مقدار سعادتي منذ أن

وجدتك .

- وإلى متى ستدوم هذه السعادة . لقد عرفت السعادة معك ونحن صغار

وعرفتها كذلك مع والدي وشقيقي ..

وفي النهاية وجدت نفسي وقد فقدت كل من أحببتهم .

- وفاة والدك شيء قدرى كلنا مررنا وسنمر به دون أن نملك من الأمر

شيئاً .. وكذلك الظروف التي حالت بينك وبين (علاء) وبالنسبة لنا أيضاً .

الفرق في حالتنا هو أن القدر الذي فرق بيننا عاد ليجمعنا من جديد وهو ما

يستحق أن نسعده به لا أن نوصد قلوبنا في وجهه .

أنا أيضاً عاشرت تجارب قاسية .. وحتى وقت قصير كانت لى نفس

أفكارك تقريباً .. لكنى أصبحت أعرف الآن وأكثر من أى وقت مضى أنه

لا معنى للاستسلام لتلك المخاوف والأفكار .

قالت وكأنها تحاول مقاومة ضعفها :

- (حسام) .. لا تنسى أن كلانا يعيش في هذه المرحلة من عمره مشاعر

الوحدة والإحساس بالاغتراب بعيداً عن الوطن وأياً كان الأشخاص الذين

عرفناهم وصادقناهم في أوروبا فما من أحد منهم استطاع أن ينتزع منا هذا

الإحساس .. وأنا بالذات أتفهم ذلك أكثر من أى شخص آخر بحكم سفرياتي

المستمرة مع والدى خلال فترة عمله واضطرارنا للإقامة فى عدة دول مختلفة وعدم الاستقرار فى الوطن لفترة طويلة .

- ما الذى ترمين إليه من وراء ذلك ؟

- ما أخشاه هو أن يكون الإحساس بالوحدة والغربة بالإضافة إلى حنين الماضى وذكرياته قد ضلل مشاعرنا ودفعنا إلى التجاذب على هذا النحو .

قال لها مستكراً :

- لم كل تلك التعقيدات والإفراط فى المخاوف ؟ أتستكرين علينا مشاعرنا ؟ أم أنك تخشيننى إلى هذا الحد ؟

- بل أخشى أن نكون قد أسرعنا فى الإفصاح عن مشاعرنا .
حاصرها بنظرة عميقة قائلاً :

- ألا تصدقين أننى أحبك ؟

- وإذا صدقتك وصدقت نفسى أيضاً فى أننى أبادلك هذا الحب فما الذى سيئول إليه الأمر فيما بعد ؟

بقى صامتاً لبرهة قبل أن يقول :

- ما تتول إليه أى علاقة شريفة تجمع بين متحابين .. الزواج بالطبع .
حدقت فى وجهه وقد بدا وكأنها قد فوجئت بما قاله ، ثم ما لبثت أن

قالت :

- نتزوج .. هذا يبدو متسرعا للغاية .

- بل قولي متأخرا للغاية فمشاعرنا التي عرفناها سويا عادت لتطن عن نفسها من جديد بعد اثني عشر عاما من الفراق .

وهو ما يدل على مدى قوة وصلابة تلك المشاعر التي لم تبدلها الأيام والسنين .

- لكن الزواج لا تكفيه العاطفة فقط .. فهناك حسابات أخرى ينبغي علينا التفكير فيها مثل الطباع والميول التي قد تختلف بالنسبة لفتى وصبية صغيرة عما صارا إليه الآن بعد تقدم العمر بهما .. وكذا الظروف المحيطة بكلانا كل تلك أمور يتعين أن نفكر فيها قبل أن تقدم على أهم مشروع في حياة المرء كالزواج .

قال لها مستاء :

- مشروع .. لم أكن أظن أنك تفكرين بتلك الطريقة العملية في أمر يتعلق في الأساس بالمشاعر .

- ألم أقل لك أن السنين ربما غيرت فينا الكثير ؟ ها أنت قد لاحظت بنفسك التغييرات التي فعلتها بي رحلة الزمن .
نظر إليها مليا وهو يقول :

- أنت تحيريننى ولا أستطيع أن أفهمك .. فلا أدري ما إذا كنت تحبيننى حقاً أم لا ؟ ولا أعرف ما إذا كنت تخشيننى أم تخشين من نفسك ؟ فكل ما تقولينه عن توافق الطباع والميول وتلك الظروف التى تحيط بكلامنا لا يقنعنى كثيراً .

قالت له بهدوء :

- لقد أسعدنى بالطبع أن تطلب الاقتران بى .. لكن كل ما أريده هو تأجيل الأمر بعض الوقت وأن نعطى أنفسنا فرصة كافية للتفكير وأن نتعرف على بعضنا أكثر من جديد قبل الإقدام على الزواج .

قال لها غاضباً :

- كما تشائين ما دامت هذه هى رغبتك .

أسكت بذراعه قائلة :

- لا تغضب منى يا (حسام) .. ثق أن الأمر لا يتعلق بك .. ربما أنا التى

بحاجة إلى قدر من الثقة بنفسى وبقراراتى .

بدا صوتها متهدجاً وملامحها مضطربة .. ورأى فى عينيها صورة قديمة مشابهة لتلك الفتاة الخائفة من شىء ما وتتشد فى وجوده الأمان الذى تحتاجه .

فتناول يدها الصغيرة بين يديه برفق وحنان وكأنه يحاول أن يبعث فيها

الدفء والطمأنينة وفي عينيه نظرة تبوح بعاطفته الفياضة تجاهها قائلاً :

- أنا لا أعرف ما الذى يثير مخاوفك إلى هذا الحد .. لكنى أعرف شيئاً واحداً وهو أن الحب الحقيقى لا يأتى فى حياة المرء مرتين وأنا لم أعرف هذا النوع من العاطفة التى أحسستها وما زلت أحسها تجاهك إلا معك وحدك

لذا فبعد أن عدت لأجدك .. أجدنى غير مستعد لأن أخسرك ثانية .

قالت له بصوت متهدج :

- وأنا أيضاً لم أحب أحداً سواك يا (حسام) .. وأعدك أنتى سأتحدى أية عقبات يمكن أن تفرق بيننا ثانية .. فقط دعنا نتحلى بالصبر قليلاً .

هز رأسه قائلاً :

- يكفينى أن أسمع منك ذلك .

وأوصلها إلى فندقها ليودعها قائلاً :

- سنلتقى غداً صباحاً .

- دعنا نتقابل فى المساء فلا أريد أن أعطلك عن عمك .

قال لها بإصرار :

- بل صباحاً .. كفانا ما أضعناه من العمر .. أنا مشتاق لقضاء أطول وقت

معك غداً .. سأخذ إجازة من عملى غداً لنقضى طوال اليوم معاً .

أضاءت نور غرفتها وهى تبدو شبه حالمة .

لكن ما إن فعلت حتى تراجعته إلى الخلف فجأة وقد انبعثت منها شهقة قوية وارتسمت على وجهها مظاهر الفرع .

فقد رأت شخصاً جالساً في إحدى أركان الغرفة وهو يحرق فيها بعينين ثاقبتين واضعاً ساقاً على ساق .

وما إن تعرفت عليه حتى صاحته قائلة :
- أنت .

قال لها ببرود :

- آسف إذا كنت قد أفرعتك .

حاولت التغلب على اضطرابها وهي تسأله قائلة :

- كيف دخلت إلى غرفتي ؟

قال لها بنفس النبرة الباردة :

- لا تشغلي بالك بتلك الأمور التافهة .. أنت تعرفين أنني أستطيع الالتقاء

بك وقتما أشاء وفي أي مكان .

قالت وهي تحاول أن تبدو رابطة الجأش أمامه :

- لكننا لم نتفق على ذلك .

- دعينا نتحدث فيما هو أهم .. لقد التقيت به .. أليس كذلك ؟

واجهته بتحدٍ قائلة :

- لن أجيبك على شيء قبل مغادرتك لغرفتي .

بقي يحدق فيها لبرهة قبل أن ينهض متثاقلاً ليقترّب منها ليهمس في أذنها بصوت كفحيج الثعبان قائلاً :

- سأنتظرك بصالة الكافيه في الفندق .. إياك أن تتأخري .. فأنت تعرفين أنني لا أحب الانتظار طويلاً .



الفصل الرابع

زفرت بشدة وهي ترفع بصرها إلى سقف الحجرة .. ثم جلست على حافة فراشها لتضع مرفقيها فوق ركبتيها وأسندت جبينها إلى أصابعها المشابهة وقد بدت في حالة من التوتر الشديد .

بقيت على هذا الوضع لعدة دقائق قبل أن تغادر حجرتها لتذهب إلى الكافيه .

حيث رأت الرجل جالسا إلى إحدى الموائد يتناول شرابه .
جلست أمامه صامتة لبرهة وقد حدجها بنظراته الباردة قائلا :
- لم تجيبى على سؤالى بعد .. هل قابلته ؟

قالت له بوجه متجهم الملامح :

- لا أظن أنك تحتاج منى إلى إجابة .. فلا بد أن أعوانك أخبروك بذلك .

- ومع ذلك أريد أن أعرف ما إذا كنت قد استطعت أن تستمليه إليك كما اتفقنا ؟

قالت له ببرود :

- لقد طلب أن يتزوجنى .

نظى عن مظهره الجاف مطلقا ضحكة ساخرة وهو يقول :

- يتزوجك . بهذه السرعة .. ثم أكن أظن أن لك كل هذا التأثير الساحر على الشاب .

قالت له بجفاء :

- هذا ما حدث .

تراجع في مقعده وهو يتأملها بعينين فاحصتين قائلاً :

- صحيح أنك فتاة جميلة .. وتجمع بينكما العديد من الذكريات العاطفية ..

لكني أعرف الشاب جيداً .. ولا أظنه من هذا النوع سريع التأثر إلى الحد الذي يجعله ينساق إلى فتنك بتلك السرعة فيطلب منك الزواج في ثانی لقاء يجمع بينكما .

- حسناً إذا لم تكن واثقاً من قدرتي على ذلك فلم استخدمتني إذن ؟ أنا

أيضاً لم أكن أظن أن الأمور ستسير بمثل هذه السرعة ؟

- إذن فلديك عرض للزواج من حبيب الصبا .

- وقد رفضته .

نظر إليها مستكراً وهو يقول :

- لماذا ؟ هذا أفضل مما كنا نتوقع .

نظرت إليه بامتنعاض قائلة :

- أتريدني أن أتزوجه حقاً ؟

- ولم لا ما دام ذلك سيسهل لنا ما أردناه .

قالت له بغضب :

- أليس لمشاعر البشر وأحاسيسهم اعتبار لديكم ؟

قال لها متهمًا :

- كيف تقولين ذلك .. وقد اعتمدت على وجود تلك المشاعر التي رافقتكما تلك السنين الماضية .

وارتكز بمرفقيه على حافة المائدة وهو يميل نحوها مستطرًا بلهجته التهكمية :

- لا تنكري أن الفتى وسيم .. وربما ازداد وسامة عما كان عليه من قبل وما دام روميو متلهفًا هكذا على الاقتران بجولييت التي أحبته فما معنى تدلل جولييت الآن ؟!

قالت له بتحد :

- لا شأن لك بما أريده .. إذا لم أكن راغبة في الاقتران به فلن تجبرني أنت أو غيرك على فعل ذلك .

- أنت حرة .. لكن ما يعنيها هو ...

قاطعتها بحدة قائلة :

- ما يعنيكم هو أن أنفذ لكم ما طلبتموه منى وقد وعدت بتنفيذه أما ما عدا ذلك فلا شأن لكم به .

- ومتى سيتم التنفيذ ؟

- عندما يحين الوقت المناسب .
- لا تنسى أنه ليس أمامنا الكثير من الوقت والمهلة الممنوحة لك قصيرة .
- ما زال أمامي عشرة أيام أخرى .
- أشار لها بأصبعه قائلاً :
- على الأكثر .

ثم ضرب براحه يده الغليظة على المائدة قبل أن ينهض قائلاً :

- بعدها لا تلومى إلا نفسك .

وغادر المكان ليتركها وهى فى حالة من الوجوم .

ثم ما لبثت أن انحدرت العبارات من عينيها لتبلى وجنتيها فى صمت .



قال لها وهما يتجولان معاً فى الشانزلزيه :

- ما رأيك .. هل أعجبتك (باريس) ؟

قالت له مبتهجة :

- إنها أكثر من رائعة .

ورانت إليه بنظراتها مستطردة :

- أنا واثقة أننى لم أكن لأراها بهذه الروعة دون وجودك معى .

ابتسم وقد تشابكت أصابعهم قائلاً :

- هل تصدقيني لو قلت لك أنني أيضًا لم أرها بمثل هذا الجمال من قبل ؟
يبدو أن وجودك معي يضيف المزيد من الجمال على الأشياء التي اعتادت
عيني أن تراها .

تبدلت ابتسامتها فجأة ليعترها شيء من الحزن والشرود فاستوقفها
قائلاً :

- ماذا بك ؟ هل قلت شيئاً ضايقك ؟

غمغت قائلة :

- بغداد كانت تحوى أيضًا العديد من الأماكن الجميلة ، قال لها آسفًا :

- بغداد .. أجل مع الأسف خربها الأمريكان بعد غزوهم لها .

- هل ذهبت إلى هناك من قبل ؟

صمت برهة قبل أن يجيبها قائلاً :

- كلا .. لم يسعدني الحظ بذلك .

- ألم تفكر في السفر إلى العراق يومًا ما ؟

- فكرت في ذلك بعد رحيلك مباشرة .. ظننت أنني سأعثر عليك هناك ..

لكني لم أعرف لك مكانًا محددًا .. ولكن لم سألتني هذا السؤال ؟

- لو كنت رأيته قبل الاحتلال الأمريكي لأدركت حجم الكارثة التي حلت

بها الآن .

غمغم قائلاً :

- إنه مصابنا جميعاً .. وفجيرة كل عربي في أي مكان بالعالم .
قالت له متهمكة :

- هل تصدق ذلك ؟ من أين لك بتلك النظرة الرومانسية لمشاعر العرب
تجاه بلادى ؟

- أتحدث عن الشرفاء منهم وأولئك الذين تجرى في دمانهم مشاعر
الإنسانية والعروبة والمصير المشترك أينما كانوا .

- كم عددهم في ظنك ؟

- كثيرون يا (دعاء) .

غمغت قائلة باستخفاف :

- أشك في ذلك .

- لقد قابلت الكثير هنا من جنسيات عربية وإسلامية .. بل ومن دول
مختلفة ممن لم يفقدوا ضميرهم الإنسانى بعد .. وكلهم يرفضون ما حدث
ومتألمين لما حل بالعراق ومتضامنين مع الشعب العراقي .

حدجته بنظرة ثاقبة قائلة :

- أهذا هو شعورك حقاً ؟

نظر إليها باستنكار قائلاً :

- أترتابين في ذلك ؟

قالت له بنبرة ساخطة :

- أصبحت أرتاب في كل شيء .. اعذرني يا (حسام) فقد دمر هذا الغزو كل ما هو جميل في وطني وفي نفوس أبنائه .

ربت على ظهرها قائلاً بإشفاق وتعاطف :

- ثقي أن هذا لن يستمر طويلاً .. فالمقاومة الوطنية تتصدى للمحتلين بجسارة ويكبدونهم خسائر فادحة .. وسيجبرونهم يوماً ما على مغادرة (العراق) وهم يجرون أذيال الخيبة ليعود (العراق) إلى ما كان عليه من قوة وبهاء وجمال .

- أراك مفرطاً في تفاؤلك .

ليس مجرد تفاؤل .. بل ثقة .. أنت تعرفين أنني ولدت من أب مصري وأم لبنانية .. وها أنا أعيش الآن في (فرنسا) لكن وجودي هنا لم يؤثر في انتمائي القومي والعروبي وأنا واثق أن العراق سينتصر في النهاية ويستعيد مجده السابق .

قالت باستخفاف :

- شعارات .. كلها مجرد شعارات سخيفة وبالية لا معنى لها .

- لا يا (دعاء) .. أنت مخطئة .. ربما كانت مجرد شعارات وعبارات إنشائية بالنسبة لبعض الحكام والأنظمة السياسية لكنها ليست كذلك بالنسبة

للشعوب التي تشعر بالانتماء ووحدة المصير والهدف والتي توارثتها الأجيال جيلاً بعد آخر .

انفعلت قائلة :

- وما الذي قدمه العرب حكاماً وشعوباً في مواجهة العدوان الأمريكي على العراق ؟ بعضهم تأمر .. وبعضهم شمت فيما حدث أو اتخذ موقفاً سلبياً .. وهناك من اكتفى بالتمنيات القلبية مثلما نفعل الآن .

حتى أبناء (العراق) انقسموا على أنفسهم وشارك بعضهم في المؤامرة بينما انخرط الباقون في تنظيمات طائفية ومذهبية وقبائلية وأخذوا يتصارعون مع بعضهم البعض مشاركين المحتلين في تدمير الوطن وتقسيمة وتفطيت بنيانه .

- أعرف أن المؤامرة أحاطت بأبناء (العراق) وأضرمت بينهم نيران الفتنة .. لكن لا تتكرى أن هناك مقاومين شرفاء من أبناء الشعب العراقي أيضاً لم يستسلموا وما زالوا يناضلون ضد الغزاة ويكبدونهم خسائر فادحة ، دون أن تلين عزيمتهم أو يتراجع صمودهم .. أولئك هم الذين ينعقد عليهم الأمل .. ليس أمل (العراق) فقط .. بل الشعب العربي كله .

حدجته بنظرة غريبة قائلة :

- نتحدث وكأنك عليم ببواطن الأمور .

- أنا عليم بإرادة الشعوب ولدى ثقة في أن (العراق) سيتحرر قريباً وسيعود أفضل مما كان عليه .

وغمغت قائلة :

- مع الأسف ليس لدى قدر كبير من تلك الثقة التى تتحدث عنها فها نحن نتجول فى أوروبا ونتكلم محاولين ابتكار نظريات نفلسف بها نخاذلنا بينما رائحة الدم والموت تفوح فى كل شبر من أرض (العراق) .

وأنا لا أعفى نفسى من المسئولية .. فما الذى أفعله هنا ؟

أمارس حياتى بصورة طبيعية وآمنة فى أسكتلندا .. وها أنا قد جنت فى رحلة سياحية إلى (فرنسا) .. ولا أفعل شيئاً سوى الكلام والشعور بالذنب تجاه وطن يحترق .

- وما الذى بإمكانك أن تفعله فى ظل وضع خارج عن إرادتك ؟ الحياة لا بد وأن تستمر .

- معك حق الحياة لا بد أن تستمر .. ولكن حتى لو فكرت بطريقة شخصية فكيف أنسى أن لى أخا يعيش فى بغداد وأنه معرض للموت والخطر فى كل لحظة .

- ألم تحاولى أن توجهى له دعوة للسفر إليك .

- بل ألححت عليه فى ذلك .. لكنه رفض .. وأصر على البقاء محاولاً طمأنتى بأنه بعيد عن المخاطر ويمارس تجارته بصورة طبيعية دون اختلاف عما كان عليه الأمر قبل الاحتلال .

- هل يعمل (علاء) بالتجارة ؟

- أجل .. وكان قد بدأ يحقق نجاحاً كبيراً فى عمله قبل العدوان لكنى لا أظن أن الأمور ما زالت على ما هى عليه بالنسبة له كما يقول .. فـ (علاء) لا يجب أن يحمل أحداً شيئاً من همومه ومتاعبه .

وهو يعرف مدى حبي وارتباطي به لذا فأنا واثقة أنه يخفى عنى الحقيقة .
قال محاولاً طمأننتها :

- وربما كان صادقاً فيما قاله .. ما رأيك لو خضنا فى حديث آخر غير

ذلك ؟

حاولت أن ترسم ابتسامة باهتة على شفثيها قائلة :
معك حق .. لقد شغلت تفكيرك بأشياء مزعجة .

- أنا فقط أحاول أن أجنبك تلك الحالة الانفعالية التى تبدين عليها .
حاولت أن تبدي شيئاً من الدعابة فى نبرتها وهى تقول له :

- كن حذراً وفكر جيداً فيما أنت مقدم عليه فالفتاة الصغيرة التى عرفتها
من قبل صارت أكثر إزعاجاً مما كانت عليه .

مازحها بدوره قائلاً :

- أنا مستعد للمخاطرة إكراماً لخاطر الفتاة الصغيرة التى أحببتها .
ضحكت قائلة :

- أنت حر فى النهاية لا تلم إلا نفسك .

- ومن قال لك إننى لا أشبهك فى الإزعاج وإثارة المتاعب ؟

- هذا شيء أعرفه ولست بحاجة لأن يخبرنى به أحد هل نسيت يوم

أخذتنى ونحن صغار إلى صالة التزلج وصممت على أن نترحل معاً ؟

قال لها ضاحكاً :

- يومها كنت خائفة للغاية وسقطت على الأرض عدة مرات .

- تسببت لى فى حرج شديد بالإضافة للإصابة التى تعرضت لها فى ركبتي وألزمته الفراش لعدة أيام .

- لكنك بعنادك المعتاد رفضت أن تستسلمى وذهبتى للتدريب على التزلج من وراء ظهري حتى أجده وصرت أكثر منى براعة .

- وفاجأتك أنت والآخرين بذلك على نحو أثار دهشتكم ورد لى اعتبارى أمام الجميع .. بل إنى تفوقت عليك بعدها فى التزلج حتى أنك لم تستطع مجاراتى مما أثار غيظك منى .

ابتسم قائلاً :

- لكن لا تتكبرى أننى كنت صاحب الفضل فيما وصلت إليه من مستوى .. فلولا إصرارى على أن تشاركينى التزلج يومها وما تعرضت له من إصابة وخرج لما أصبحت بتلك المهارة .

- بل لأننى كنت وما زلت أمتلك روح التحدى .

صمت فجأة والتمعت عيناه ببريق غريب .. قبل أن يقول :

- حسناً أيتها العنيدة لقد أوحيت لى الآن بفكرة ما عن المكان الذى سأصحبك إليه .

- لا تقل إنك تقصد صالة تزلج .

- هذا بالضبط ما فكرت فيه .. وبالمناسبة هي قريبة من هنا .



الفصل الخامس

ضحكت قائلة :

- لا تكن أحمل فقد كبرنا على تلك الألعاب .

قال لها مصعفا :

- من قال ذلك ؟ نحن ما زلنا في مقتبل العمر .. ثم هل نسيت أين نحن

الآن .. إننا في (باريس) .. حيث الكل منطلق بلا قيود ويفعل ما يريد .

ستفاجئين بأعمار أولئك الذين يمارسون تلك الرياضة في حالة التزلج ..

بعضهم تخطى السبعين من عمره ويمارسونها كما لو كانوا أطفالاً صغاراً .

قالت وهي ما زالت تضحك :

- لكنى لم أعد بنفس المهارة التى كنت عليها .

- أراهن أنك لم تفقدى شيئاً من مهارتك .. ثم أين هو عنادك المعتاد ؟

وانخرط الاثنان فى الاستمتاع بالتزلج فى الصالة المغطاة على الجليد

الصناعى وسط مجموعة من ممارسى تلك الرياضة الجامعة بين الرقص

والاستعراض ..

وقد أحس كلاهما وهما ينسابان بخفة ورشاقة بأحذية التزلج فوق

الأرض الجليدية بمتعة كبيرة .. وبدا وكأنهما يستعيدان ذكريات أيام جميلة

سابقة .

كانا بحاجة لهذه الساعات المرححة التي قضياها فى صالة التزلج لينفضا
عنهما أثقالاً من الأحزان والهموم .. وأسرار خشى كل منهما أن يبوح بها
للآخر .

ولكن ما إن غادرا المكان .. وأسدل الليل خيوطه عليهما حتى بدا
منزعجاً ومهموماً وهو يحدثها قائلاً :

- لا أدري ما الذى سأفعله بحياتى دونك بعد أن تسافرى وتتركىنى هنا
بمفردى ؟

حاولت أن تخفف عنه وعن نفسها بابتسامة مصطنعة قائلة :

- حاول أن تأتى لزيارتى حينما تسمح ظروفك بذلك .

نظر إليها ملياً وهو يقول :

- لم يعد من السهل علينا الآن أن نترك علاقتنا رهناً للظروف .. سيكون

ذلك قاسياً للغاية بالنسبة لى أن نبتعد ثانية ونلتقى كلما سمحت ظروفنا
وأمكانياتنا بذلك .

تهدت بعمق قائلة :

- ولن يكون سهلاً بالنسبة لى أيضاً .. لكن ماذا نفعل ؟ فواقعنا يتحكم

بنا .. سيكون بيننا بالطبع رسائل واتصالات هاتفية .. و

قاطعها بضيق قائلاً :

- هذا لا يكفي بالنسبة لى .. (دعاء) أشعر أننى لا أستطيع مفارقتك بعد الآن .

- هل لديك حل آخر ؟

- لقد أخبرتك من قبل عن الحل .. لما لا نتزوج ونعيش معاً فى مكان واحد يجمع بيننا ؟

- وماذا عن عملى ووظيفتك ؟

يمكنك أن تنتقلى للعمل فى إحدى الجامعات الفرنسية أو أسافر أنا للعمل بإحدى الشركات التجارية الأسكتلندية .. فأنا لدى خبرة .. و....

قاطعته بدورها قائلة :

- الأمر ليس بتلك البساطة التى تتحدث بها .. أوروبا بها نسبة بطالة عالية الآن والفرنسيون والأسكتلنديون لم يعودوا يحصلون على الوظائف بسهولة .. فما بالك بنا نحن .. وهم يعدوننا من الأجانب .

قال لها متبرماً :

- أشعر أنك تعقدين الأمور وتصعبينها علينا .. المهم هو الحب الذى يجمع بيننا .. وما عدا ذلك يمكن تذليله .

عائبه قائلة :

- لم تحاول أن تقلل من قدر عاطفتى نحوك ؟ أنا أيضاً صرت أحلم باليوم

الذى يضمنا سوياً مكان واحد .. وحلمى هذا ليس وليد اليوم .. بل عاش فى وجدانى سنوات طويلة ..

فقط دعنا لا نتسرع لأن هناك مسافة كبيرة تفصل بين الواقع وما نتمناه.

الأحلام سهلة المنال .. أما الواقع فهو شديد التعقيد بالفعل .. من فضلك يا (حسام) دعنا نرتب لمستقبلنا جيداً حتى لا يفرق أى شىء بيننا فيما بعد.



لم يفرق سفرها وعودتها إلى أسكتلندا بينهما تماماً فبالرغم من الاتصالات والرسائل اليومية ظلاً طوال الأسبوعين يتقابلان من آن لآخر .

استطاع أن يسافر إليها فى (أسكتلندا) .. كما عادت هى أيضاً إلى (باريس) فى عطلة نهاية الأسبوع الثانى للالتقى به .

وفى كل مرة يلتقيان فيها كانا يشعران أكثر من ذى قبل أن كلا منهما لم يعد يستطيع الاستغناء عن الآخر ومن صدق عاطفته تجاهه .. أو هذا ما كانت تبدو عليه علاقتهما .

ملايين من البشر بدلت السنين الكثير من مشاعرهم وأحاسيسهم وتبدلت أفكارهم مع تقلبات الزمن .. لكن مشاعرهما بقيت على ما هى عليه ولم يؤثر عليها الماضى ولا الحاضر .

توهجت أحياناً وخمدت أحياناً لكنها لم تفارقهما أبداً .

ربما فى انتظار تلك اللحظة القدرية التى تجمع بينهما من جديد هكذا كان (حسام) يفكر وهو جالس فى الطائرة التى أقلته إلى (أسكتلندا) ليلتقى بها .

وقد فوجئت برؤيته وهى تستعد لركوب سيارتها فعادت لتغلق بابها محدقة فيه بدهشة .

هرول إليها متلهفاً ليحتضنها قائلاً :

- وحشتينى .

تطلعت إليه قائلة :

- متى جئت ؟

تناول يدها بين أصابعه وعينيه تتطقان بلهفته واشتياقه قائلاً :

- منذ بضعة ساعات أتيت من المطار إلى هنا مباشرة حتى لا تغفل منى

لحظة واحدة لتكون فيها معاً .

امتزجت دهشتها بابتسامة وهى تقول له :

- يا لها من مفاجأة .. لكنك لم تقل شيئاً عن مجيئك إلى (أسكتلندا) اليوم

رغم اتصالنا بالأمس .

- لم أدبر لذلك ... وجدت نفسي أخضع لرغبة جامحة حرمتني من النوم
بالأمس ودفعتني لأن آتى وأراك ... وهكذا ركبت أول طائرة حملتني لأحضر
إلى هنا .

ضحكت قائلة :

- يا لك من مجنون .

هز رأسه موافقاً وهو يقول :

- صدقت الحب يمكن أن يكون جنونياً أحياناً ... فلم أتخيل نفسي يوماً
أتصرف بتلك الطريقة التلقائية والطفولية التي أبدو عليها الآن .

ابتسمت قائلة :

- لكنى أريد حبباً مترناً وعاقلاً ... ثم إن تلك السفريات المتعددة تكلفك
الكثير وتستنزف من دخلك بلا شك .

- كل شيء يهون من أجل عينيك ... (دعاء) لم أعد أقوى على بعادك
أكثر من ذلك .

تبدلت ملامحها فجأة وتلاشت ابتسامتها تدريجياً وهي تقول :

- (حسام) يكفي ذلك ... أرجوك كفى .

نظر إليها بدهشة قائلاً :

- هل قلت ما يغضبك ؟

أشاحت بوجهها وهي تقول :

- أنت تضغط على مشاعري بأكثر مما أحتمل .

قال وهو يتأملها بحيرة :

- كنت أظن أن مشاعرنا متماثلة .. هل أزعجك مجيئى المفاجئ إلى هذا

الحد ؟

ترقرقت عبرات في عينيها حاولت أن تحجبها عنه وقد لاذت بالصمت

بينما ظل يراقبها بنظراته الحائرة قبل أن يقول :

- يبدو أننى أثقل عليك بالفعل .. أنا لا أحب أن أفرض عليك أحاسيسى

تجاهك .. لكنك أوحيت إلى بأنك

استدارت لتواجهه قائلة :

- أننى أحبك .. أليس كذلك ؟

- أليس هذا صحيحًا ؟

- ما الذى تراه ؟

- فى الحقيقة لم أعد أدرى .. فأنت تشعريننى بأنك تحملين مشاعر

متقلبة .. أحيانًا أشعر بحبك لى .. وأحيانًا أخرى لا يمكننى أن أفهمك على

الإطلاق .

قالت له بعصبية وهى تحاول مقاومة عبراتها :

- أنت لا تفهم شىء بالفعل .

أمسك بكفيها ليقربها إليه قائلاً بأنفعال :

- وضحي لى أنت أذن .. أخبرينى ما هو الحقيقى وما هو الوهمى فى

علاقتنا ؟

تطلعت إليه بعينان دامعتان قائلة :

- قل لى أنت أى حقيقة أخفيتها عنى ؟ وما هو الشىء الذى لم تصارحنى

به بعد ؟

نظر إليها بدهشة قائلاً :

- أنا لم أخفى عنك أى شىء يتعلق بى منذ أن تجدد لقائنا .

حدجته بنظرة ثاقبة قائلة :

- أوافق أنت من ذلك ؟

- أنت تعرفيننى منذ الصغر .. لم أكذب عليك أبداً .. وكنت بالنسبة لك

دائماً كتاباً مفتوحاً .

- دعك من الصغر .. فوقتها كنا مجرد أطفال أبرياء لم يفعل بنا الزمن

أفاعليه بعد .. أنا أتحدث عما تلى ذلك من سنين .. تلك السنين التى باعدت

بيننا وأضافت إلى عمرنا .

- حدثك عنها بما يكفى فى لقائتنا السابقة .. ولم أخف عنك أيضا شيئاً فى حياتى مما يستحق أن تعرفيه .

قالت له بنبرة متهكمة :

- كل شىء .

قال لها وقد ضاقت حدقتها :

- ما الذى تقصدينه ؟ وما معنى تلك النبرة التى تكلمينى بها ؟

- تهدت بعمق دون أن تعقب بشىء .

بينما انفجر فى وجهها قائلاً بغضب :

- من الواضح أننى أخطأت بمجيئى إلى هنا .. بل يبدو أننى أخطأت فى

تقدير كل شىء ومنذ البداية .

واستدار ليتركها مبتعداً .

لكنها لحقت به لتتشبث بذراعه قائلة باستعطاف :

- (حسام) أرجوك لا تغضب منى .. أنا .. أنا لا أدري ما الذى أصابنى ؟

ولم أتصرف على هذا النحو ؟

قال لها منفعلاً :

- أنا أيضاً أريد أن أعرف السبب .. ولم أصبحت أشعر أنك لا تحبينى

بقدر ما أحبك ؟ !

أحيانًا أرى تلك العاطفة المتقدة في عينيك وأحيانًا أخرى لا أرى إلا

البرودة والجفاء ؟

وما معنى تلك النظرات المرتابة التي ترمقيني بها في بعض الأوقات ؟ لا

بد أن يكون لديك تفسير لذلك .

قالت له بصوت متهدج :

- أريدك أن تعرف شيئًا واحدًا فقط وهو أنني لم أحب أحدًا طوال حياتي

سواك .

تمعن في وجهها قائلاً :

- أتمنى أن أصدقك .. لكن تصرفاتك معي توحى بغير ذلك .

قالت وهي تطلق زفرة طويلة من صدرها :

- لا ألومك .. فمع الأسف حبنا محاط بالكثير من التعقيدات .

- أية تعقيدات ؟ هل يمكنك أن تفسري لي ؟

أشاحت بوجهها قائلة :

- مع الأسف لا يمكنني أن أقول لك أكثر من ذلك .

- قال لها مستاءً مجرد عبارات غامضة تحتمل الكثير من التأويلات .

قالت له واجمة :

- ستفهم كل شيء فى حينه .

- إذن من الأفضل ألا نلتقى ثانية قبل أن يكون لديك إجابة مقنعة على كل

تساؤلاتى .



الفصل السادس

عاد إلى (باريس) مثقل الأحاسيس .. مضطرب المشاعر .

كان ناقصاً عليها وعلى قلبه الذي أحبها .. وأصبح غير راضٍ عن نفسه وانجرفه وراء تلك العاطفة التي أربكت حياته وأفكاره فقد كان لديه ما يكب من المشاكل والمتاعب .. ولم يكن بحاجة لأن يشغل عقله وقلبه بالمزيد منها والانخراط في علاقة عاطفية مع فتاة متقلبة الأحاسيس .. تصرفاتها غامضة ويصعب عليه تفسير عاطفتها تجاهه .



فهذا الحب الذي أيقظ في نفسه مشاعر رائعة وأعاد الحياة لقلبه من جديد انقلب فجأة ليصبح مصدرًا للحيرة والمعاناة .

ألحت عليه كل تلك الخواطر والأفكار التي شغلت عقله وتفكيره وهو يسير عائدًا إلى منزله بعد أن ترك سيارته للإصلاح في إحدى مراكز الصيانة . وقد بدا شاردًا وهو يستعيد حوارهِ الأخير معها وتساءل عما علته بسؤالها له حول ما إذا كان هناك ما يخفيه عنها ؟ قائلًا لنفسه ..

- ترى ما الذي كانت تقصده بذلك ؟

- وما هي تلك التعقيدات التي قالت إنها تحيط بحبنا ؟

هل هي مجرد كلمات اختلقتها لتتصل من مسئولية ما توعدا عليه ؟

وهل هي تحبه حقًا كما تدعى ؟ أم أنها تخدعه ببضعة كلمات معسولة ؟

وإذا كان هذا صحيحًا فهل خدعه إحساسه بأنها تبادله مشاعره بالفعل ؟

أم أنه مجرد خيال صورته له عاطفته المندفعة نحوها وصدقه قلبه ؟

ربما طرأ شيء ما على علاقتهما في الآونة الأخيرة جعلها غير راغبة

في استمرار تلك العلاقة .

لكن متى حدث ذلك وعلاقتهما لم تكد تبدأ حتى يطرأ عليها ما يبدلها على

هذا النحو ؟

شخص آخر ظهر في حياتها في الآونة الأخيرة .. ربما .. وإلا فما الذي

يفسر ترددها وبرود عاطفتها المفاجئ تجاهه ؟!

ولم تمنعه حيرته وتساؤلاته وشرود أفكاره من الانتباه لوقع أقدام

تلاحقه منذ بداية سيره .

فتوقف عن متابعة السير متظاهرًا باستخدام هاتفه المحمول وهو يصغى

السمع .

كان الوقت ليلاً والشارع يبدو خالياً ومظلماً بعض الشيء مما مكنه من سماع توقف الخطوات جيداً .. ليتأكد له أن هناك من يتعقبه بالفعل .

وسرعان ما انعطف عند أول شارع جانبي صادفه ليختفي وراء إحدى الأشجار القريبة من المنزل المجاور للرصيف .

حيث رأى ذلك الشخص الذي يخفي الظلام ملامحه وهو يسرع الخطى محاولاً اللحاق به .

وما إن اقترب حتى انقض عليه فجأة ليمسك بسترته وقد ضم قبضته بقوة تاهباً لتسديد لكمة إلى فكه قائلاً له :

- من أنت ؟ ولم تتعقبني ؟

حاول الرجل التملص من قبضته لكنه تشبث به بشدة ليمنعه من ذلك .

وفجأة توقفت سيارة حمراء صغيرة بجوارهما ليطل من نافذتها وجه

لامرأة تبدو وقد تجاوزت العقد الثالث من العمر ذات ملامح لا تخلو من

الجمال رغم ما يبدو عليها من جدية وصرامة .. قائلة بصوت آمر :

- دعه يذهب .

التفت إليها وقد علت وجهه ملامح الدهشة بينما عادت المرأة لتقول

بحزم :

- قلت لك دعه .

ظل متردداً للحظة قبل أن يقلت الرجل الذي سارع بالهرب .

وسرعان ما اقترب من السيارة ليحدق بها قائلاً بعصبية شديدة :

- ما الذى تريدونه ؟

أشارت إلى المقعد بجوارها قائلة :

- اركب .

بقى متردداً للحظة قبل أن يجلس بجوارها وهو لا زال منفعلًا ليقول :

- قلت لكم من قبل إننى لا أحب أن أكون مراقباً فى تحركاتى .

قالت له ببرود وهى تدير محرك السيارة :

- إننا نفعل ذلك من أجل حمايتك .

- وأنا لم أعد بحاجة لتلك الحماية .. هذا ما اتفقت عليه مع (نيكولاى)

فى آخر لقاء بيننا .

قادت سيارتها قائلة :

- ولماذا لجأت إلينا من البداية ؟

- لأننى لم أجد وقتها حلاً آخر سوى ذلك .. كان الخطر يتهددنى وكنتم بحاجة إلى .. أى أنه كانت بيننا مصالح مشتركة وقتها .. لكن هذا الخطر تباعد الآن ونال كلانا ما يريده من الآخر .

هذا ما أخبرتكم به الشهر الماضى واتفقنا بعدها على أن تتركونى أتحرر بحرية أكثر وأتصرف مع الأمور على طريقتى .

التفتت إليه قائلة :

- أوافق أنت حقاً أنك لم تعد مهدداً ؟

- هم يعرفون الآن جيداً أنهم لن يستطيعوا إلحاق أى أذى بى دون أن ينالوا نصيباً من ذلك .

- وأنت تعرف أنهم لن يتركوك لحالك طالما تشكل خطراً على مصالحهم .

- لكن (نيكولاى) أخبرنى فى المرة السابقة أنهم لن يقدموا على ارتكاب

أى حماقات طالما

قاطعته قائلة :

- هذا لا يعنى أنهم أغلقوا ملفك لديهم بصورة نهائية .

قال لها بضيق :

- أيا كان الأمر فأنا أريد أن يتوقف الأمر عند هذا الحد .

أوقفت سيارتها لتجابهه بنظرة حادة قائلة :

- هذا لا يتوقف على إرادتك وحدك .

قال لها متحفظاً :

- ماذا تقصدين ؟

غادرت سيارتها لتسير على الرصيف المجاور لإحدى الحدائق .

وقد لحق بها ليعاود سؤالها قائلاً :

- لم تجيبي على سؤالى .

قالت ببرود :

- لقد اتفقنا من البداية أنه تجمعنا مصالح مشتركة .. ونحن من جانبنا لم

نتخل عن التزامنا فى هذا الشأن .

أنت أيضاً لا يمكنك أن تضحي بمصالحنا لمجرد أن رغبتك قد تبدلت .

- هل يعنى هذا أنتى صرت أسيراً لكم .. هل أكون قد أفلتت من أذاهم لأنقذ

بين أيديكم ؟

حاولت أن تبدو أكثر لطفاً وهى تتلفت إليه قائلة :

- نحن لم نلحق بك أى ضرر .. بالعكس منعنا عنك الكثير من الأذى الذى

لم نرست له .

ليس هذا فقط بل وفرنا لك كل ما كنت تحتاجه للإقامة هنا والحصول على وظيفة لائقة في (باريس) .. وأنت تعلم بالطبع أن هذا ليس بالأمر الهين ولم يكن بإمكانك الحصول عليه لولا مساعدتنا .

وكنا نظن أننا سنلقى منك في النهاية التقدير الذي نستحقه بدلاً من تعاملك

معنا على هذا النحو .

قال لها بتوتر :

- لو لم تكونوا واثقين أن ما حصلتم عليه منى ذا أهمية كبيرة بالنسبة لكم

ما كنتم تعاملتم معى بهذا الكرم .

في الآونة الأخيرة شعرت أنني فقدت أهميتى لديكم فما الذى طرأ مؤخراً

ليعود هذا الاهتمام فجأة إلى حد إرسال من يتتبع خطواتى وتحركاتى ؟

جلست على أول مقعد خشبى قابلها وهى تتطلع إليه قائلة :

- السبب أنهم هم أيضاً عادوا للاهتمام بك من جديد وتبين من خلال

المعلومات التى توافرت لنا أنهم يسعون لاستدارجك بطريقة ما .

قال لها مستفسراً :

استدراجي؟!

- أجل .. لقد أدركوا أن وسائلهم الخشنة لم تعد تصلح بالنسبة لك ما دمنا

نقف خلفك ونؤمن ظهرك .. لذا قررنا اللجوء إلى وسائل أكثر نعومة .

- ماذا تعنين ؟

دعته للجلوس بجوارها وهي تقول :

- لقد تعرفت بصديقة قديمة وحميمة في الآونة الأخيرة .. أليس كذلك ؟

قال لها وقد ضاقت حدقتها :

- أية صديقة تلك التي تتحدثين عنها ؟

- اسمها (دعاء خطاب) وهي من أصل عراقي ووالدها كان يعمل

دبلوماسي قبل وفاته .

نظر إليها بدهشة قائلاً :

- من أين لكم بهذه المعلومات ؟ وما علاقتها بهذا الأمر ؟

حدقت في وجهه قائلة :

- ما لا تعرفه هو أن الفتاة عميلة للاستخبارات الأمريكية .
عقدت المفاجأة لسانه ووضحت آثارها على وجهه فظل يحدق فيها لبرهة
قبل أن يقول منفعلًا :

- لا .. هذا لا يمكن أن يكون صحيحًا .
تناولت ظرفًا كبيرًا من جيبها لتقدمه له قائلة :
- إذن اطلع على هذه الصور وقل لى رأيك ؟

فتح الظرف ليجد به عددًا من الصور التي تجمع بين الفتاة وأشخاص
نوى ملامح مختلفة .

بالإضافة لصورة لها وهي جالسة أمام مكتب يعطوه صورة الرئيس والعلم
الأمريكي وقد جلس خلفه شخص يتحدث إليها .

قال لها غير مصدق :

- هذه الصور لا تعنى شيئًا .

- بل تعنى الكثير .. فهؤلاء الأشخاص الذين يظهرون برفقة الفتاة
عملاء محترفون للمخابرات الأمريكية وعملاؤهم المحليين في (العراق) .

وتناولت صورة أخرى من جيبها لتقدمها له قائلة :

- انظر إلى هذه الصورة جيدًا .. وتمعن في الرجل الجالس برفقة صديقتك .. ألا يبدو هذا الوجه مألوفاً بالنسبة لك ؟

حرق في الصورة وهو يغغم قائلاً :

- أجل .. إنه

- ستيف ستيوارت .. إنه نفس الشخص الذي حاول من قبل أن يجندك لحساب المخابرات الأمريكية .

ظل يحرق في وجه الرجل محاولاً أن يكذب عينيه .. بينما استطردت قائلة :

- ألا يكفي هذا لتعرف حقيقة الدور الذي تضطلع به هذه الفتاة لاستدراجك ؟

غغم قائلاً وملامح الصدمة ترسم على وجهه :

- (دعاء) .. غير معقول .. كيف ؟ ولم هي بالذات ؟

- لأن لكما تاريخاً مشتركاً . وكانوا واثقين أنها ستجرح في استمالتك .

هل عرفت الآن لم عدنا للاهتمام بك ومراقبتك ؟ ما كان يتعين عليك أن

تفصحها تلك الثقة أيًا كانت مشاعرك نحوها .

صمتت قليلاً قبل أن تستطرد قائلة :

على أية حال يبدو أننا أطلعناك على حقيقتها في الوقت المناسب لتأخذ
حذرك منها .
لكن عليك أن تعي الدرس جيدًا وتتعلم منذ الآن ألا تضع ثقتك في أحد
مهما كان .

واستطردت وهي تنهض قائلة :

- سأتركك الآن لتستعيد توازنك بعدما أخبرتك به .. لكن حذار أن تدع
الفتاة تعرف ما عرفتة عنها الآن .

ومالت عليه برأسها مردفة :

- من الأفضل أن تبقى على علاقتها بك كما هي .

- لماذا ؟

- هذا ما سأخبرك به عندما نلتقى غدا هنا في نفس المكان .

وربتت على كتفه وهي تكمل قائلة :

- كن مطمئنًا .. فنحن خلفك وسنقدم لك خدماتنا كلما احتجت إليها لأنك

تهمنا كثيرًا .

غادرته عائدة إلى سيارتها بينما ظل جالساً في مكانه وهو يتطلع إلى الطريق بعينين ذاهلتين وعقله يستعيد كلماته معها .
الآن .. فقط فهم مغزى تلك العبارات الغامضة التي قالتها .. وسر تردها بشأن زواجهما .. وكل تلك التصرفات المبهمة التي أثارت حيرته وتساؤلاته دون أن يجد لها تفسيراً .



جلس يتناول الشاي في الكافيتريا التي شهدت لقاءهما .
حينما سمع صوتاً يأتي من خلفه قائلاً :
- يمكنك أن تدعوني لفنجان شاي معك ؟
التفت إليها مندهشاً في البداية .. لكن سرعان ما تحولت دهشته إلى قناع من الجمود وهو يشير إلى المقعد المجاور قائلاً :
- بالطبع .

طالعه بابتسامة وهي تجلس في مواجهته قائلة :
- كنت أعرف أنني سأجذك هنا .

قال لها بجفاء :

- أنت تعرفين دائماً كيف تجديننى .
لامست أصابعها أصابعه قائلة بنعومة :

- أما زلت غاضباً منى ؟

جذب يده برفق وهو يرمقها بنظرة باردة تخلو من أية مشاعر .

بينما استطردت قائلة :

- معك حق .. أنا أيضاً كنت ناقمة على نفسى .. ولمت نفسى كثيراً لتلك

الطريقة الجافة التى تعاملت بها معك فى آخر لقاء بيننا .. وها أنا قد جئت

لمصالحتك .. وأرجو أن تقبل اعتذارى .

انتظر حتى انصرف النادل بعد أن أحضر فنجان الشاي ليحدها بنظرة

ثاقبة قائلاً :

- هل تذكرين ما قلته لك من قبل ؟

تطلعت إلى وجهه قائلة :

- أنا لا أنسى شيئاً قلته لى .

- لقد سألتك ما إذا كان الحب الذى عرفناه سويًا ما زال قائمًا ؟

- وأنا قلت لك إنه ما زال باقياً على ما هو عليه .

- بل قلت أنه موجود لكنه محاط بالكثير من التعقيدات .

وأنا طلبت منك إجابة واضحة على سؤالى .

فهل أنت مستعدة لتعطينى تلك الإجابة الآن ؟

بدت حائرة وهى تنظر إليه بعينين زائغتين وقد اعترأها الصمت .. قبل
مشار أن تقول :

- لبتى أستطيع أن أطلعك على كل شىء حالياً .. لكن لا يمكننى ذلك ..

وإن كنت أعددك بأننى سأجيب على كل تساؤلاتك ولكن فيما بعد .



الفصل السابع

كان يبحث في ملامحها عن تلك الفتاة البرينة التي أحبها من قبل لكنها
بدت غريبة عنها في تلك اللحظة رغم أنها كانت نفس الملامح .
وتمنى لو كان بإمكانه أن يكرهها ويدفع قلبه للقسوة عليها .. لكنه وجد
نفسه ما زال مغرمًا بها .. وقد أزعجه ذلك كثيرًا .

سألتها قائلاً :

- ما الذي أتى بك إلى (باريس) ؟

- أردت أن أراك وأطلب منك أن تسامحني .

- ثم .. ماذا ؟

- ثم إنني افتقدتك كثيرًا .

قال لها متهمًا :

- حقًا .

أطرفت قائلة :

- يبدو أنك لم تسامحني بعد ولم تقبل اعتذاري .

- أظن أن الأمر لا علاقة له بالاعتذار أو الترضية أو مسألة افتقارك لي .

- (حسام) اتهمنى بالكذب .. إذن لا بد أن تعتذر لى أنت هذه المرة وإن كنت سأكون أكثر منك تسامحاً ولن أطالبك بذلك .

وابتسعت له مستطردة :

- على أية حال فبالإضافة لما قلته هناك مفاجأة أحملها لك .
نظر إليها صامتاً دون أن يعقب .

فعدت لتقول :

- ما رأيك لو سافرنا معاً إلى (الأردن) ؟

- وما الذى يدعونا للسفر إلى (الأردن) ؟

- سألقى بعض المحاضرات فى إحدى الجامعات الأردنية بتكليف من الجامعة الأسكتلندية التى أعمل بها وعلى نفقتها الخاصة .. والمفاجأة أننى لم أحصل على تذكرة واحدة فقط بل تذكرتى ذهاب وعودة على الخطوط البريطانية .

لذا فكرت أن تصاحبنى فى تلك الرحلة التى ستستمر لمدة أسبوع ..
لنضيقها ما بين العمل والسياحة .

سنقيم فى أرقى الفنادق الأردنية وبين ربوع جبال (عمان) مع الحصول على خدمة سياحية من الدرجة الأولى .

قابل حماسها ببرودة لم تتوقعها قائلاً :

- ومتى ستسافرين ؟

- بعد أربعة أيام .

- ربما لن تسنح ظروف عملى بالسفر معك ؟

تمعنت فى وجهه قائلة :

- كنت أظن أنك ستسر بذلك .. خاصة أن رحلة كهذه ستزيد من تقاربنا

أكثر .. وربما انتهت بـ

وأحجمت عن الاستمرار فى الكلام وقد تورد وجهها خجلاً .

بينما بقى محتفظاً بجمود ملامحه وهو يسألها قائلاً :

- تنتهى بماذا ؟

قالت له بصوت خافت مضطرب النبرات :

- بزواجنا .. فأنا مستعدة لعقد قراننا فى (عمان) قبل نهاية الرحلة .

ظل صامتاً وهو يحدجها بنظرة مبهمه .. مما أثار حيرتها فأردفت قائلة :

- أليس هذا ما أردته ؟ أم أنك غيرت رأيك ؟

- إذن وافقت أخيراً على زواجنا .

- أترانى أخطأت بذلك ؟

- دعيني أسألك سؤالاً واضحاً وأرجو أن تجيبينى عليه بصراحة .. هل

أنت مقتنعة حقاً بزواجنا ؟

- بالطبع .. أنا الآن مقتنعة بذلك أكثر من أى وقت مضى وإلا ما وافقت .

- ولم اخترتى (الأردن) بالذات ؟ لم لا نتزوج فى (فرنسا) أو

(اسكتلندا) مثلاً ؟

قالت له باستغراب :

- ماذا بك يا (حسام) ؟ لم أكن أتوقع منك رد الفعل هذا .

عاد ليلح عليها قائلاً :

- من فضلك أجيبى على سؤالى .

قالت له غاضبة :

- لأننى دبرت الأمر بحيث نلتقى بأخى (علاء) هناك ليكون وكيلاً لى

فى عقد قرانى .. ولأنه بلد عربى وإسلامى وظننت أنه من الأفضل أن يعقد
قراننا فيه .

فالظروف فى وطنى كما تعرف لا تسمح لنا بالسفر والزواج هناك حالياً .

هز رأسه قائلاً باستخفاف :

- يبدو أنك دبرتي لكل شيء بالفعل .

هبت واقفة فجأة لتقول له بانفعال :

- آسفة من الواضح أنني تسرعت .. انس كل ما قلته لك الآن .. بل انس

حتى أننا تقابلنا اليوم .

وآسفة أيضاً لأننى صدقت ما عبرت لى عنه من مشاعر تجاهى ..

وهمت بالانصراف .. لكنه أمسك بمعصمها ليستوقفها قائلاً :

- اجلسى من فضلك .

- لماذا ؟ لتستمع برويتى وأنا أتوسل إليك أن تقبل اعتذارى عما قلته من

قبل أم لرغبتك فى أن ترانى أتذل إليك كى تقبل الزواج منى ؟

أم هى رغبة منك فى إرضاء كبريائك الذى جرح عندما طالبتك من قبل

أن نترى قبل أن نقدم على الزواج ؟

وانترعت معصمها من قبضته لتغادر المكان بخطوات غاضبة مسرعة .

وقد وجد نفسه يندفع خلفها وهو يناديها قائلاً :

- (دعاء) .. من فضلك انتظرى .. لا بد أن نكمل حديثنا معاً .

تجاهلت ندائه وقد أخذت تعدو في الشارع ركضاً .

وفجأة ظهرت أمامها سيارة مسرعة لتتطلق في اتجاهها كما لو أنها
ستعتمد إلى الاصطدام بها .

ولمح (حسام) السيارة وهي تتدفع نحوها مسرعة .. وقد تنبّهت لها
متأخرة فتجمدت في مكانها وفي عينيها نظرة فزع .

بينما صرخ عليها مرتاعاً :

- (دعاء) .

وبدا وكأنه قد اكتسب في هذه اللحظة قوة خارقة جعلته يقفز نحوها
بسرعة البرق ليحتويها بين ذراعيه ملقياً بها أرضاً وهو يتدحرج بها بعيداً
عن مقدمة السيارة التي واصلت انطلاقها دون توقف .

جزء من الثانية فقط كان هو الفاصل بينهما وبين موت محقق .
أحاط بهما جمع من الناس بينما جثا على ركبتيه محاولاً التأكد من سلامتها .

- (دعاء) .. هل أنت بخير ؟

نظرت إليه بعينين ذاهلتين من أثر الصدمة قائلة بصوت مرتعش :

- أجل .. وأنت هل أصابك شيء ؟

تنفس بارتياح وهو يساعدها على الوقوف قائلاً :

- الحمد لله .. الحمد لله كلانا بخير .

نظرت إلى شفتيه اللتين تنزفان دماً قائلة بانزعاج :

- لكن .. هذه الدماء .

- مجرد جرح بسيط من أثر الوقوع على الأرض .

تناولت منديلاً من حقيبتها لتمسح به شفتيه .. فتناول يدها ليقبلها وهو

يلف ذراعه حول كتفيها قائلاً :

- الحمد لله أنك بخير يا حبيبتي .

أسندت رأسها إلى صدره قائلة باستكانة وعتاب :

- حبيبتي .. كنت أتمنى أن أسمع منك هذه الكلمة من أول لحظة جئت

فيها إلى هنا .

هل كان يتعين عليك أن تنتظر حتى تصدمنى سيارة مسرعة لأسمعها

منك ؟

صمت وهو يضمها إليه بينما صرخة قوية تتردد فى أعماقه « لو

تعلمين كم أحبك » .

بينما رفعت رأسها إليه قائلة :

- أحقاً ما زلت تحبنى ؟

أفاضت عيناه بمشاعره الفياضة تجاهها وهو يقول لها بصوت دافئ :

- بكل جوارحي .

- وما زلت تريد الزواج منى ؟

- إنها أكبر أمانى .

عادت لتلقى برأسها على صدره .. لكن هذه المرة كانت تحاول أن تخفى عنه تلك العبرات التى انسابت فوق وجنتيها .



ضرب بيده فى عنف على المكتب الذى تجلس إليه نورما أو المرأة الفولاذية كما يسمونها .. تلك التى التقى بها من قبل قائلاً :

- لما فعلتم ذلك ؟

قالت له ببرود :

- وما الذى فعلناه ؟

قال لها منفعلاً :

- أنت تعرفين ما أقصده جيداً .. لقد حاول أحد رجالك أن يصدف الفتاة

بسيارته بالأمس .

تراجعت بظهرها إلى الخلف وهى ترمقه بتلك النظرة الباردة قائلة :

- أما زلت تحبها وبالرغم من كل ما أخبرتك به عنها ؟

- ليس للحب أو الكراهية علاقة بالأمر .. كان الاتفاق بيننا أن تدعوني
أتصرف بمفردى .

قلت لك إنه باستطاعتي أن أسيطر عليها بل وأحولها إلى عميل مزدوج
يعمل لصالحكم .

غادرت مكتبها لتدور من حوله وقد بدت نبرات صوتها صارمة وهى
تقول :

- لقد ألغيت هذا الاتفاق مسيو (حسام) لأننى واثقة أنك ما زلت غارقاً
فى حب هذه الفتاة وأضعف من أن تتفد ما اتفقنا عليه .

فقد سمعنا حوارك معها ولم يكن لحديثكما هذا سوى معنى واحد وهو
أنها ستتمكن هى فى النهاية من السيطرة عليك وليس العكس .

احتد قائلاً :

- ما زلت إذن تلجئون لتلك الوسائل من أجل التجسس على تصرفاتى
وعلى ما أقول وأفعل .

لقد قلت لك من قبل إننى أرفض هذه الطريقة ولا أحب أن أشعر بأن
كلماتى وأنفاسى أصبحت محسوبة على .

- وأنا قلت لك إن هذا فى مصلحة الجميع .. ولولا ذلك لكان قد قضى

عليك منذ فترة .

- لقد سئمت من تكرار تلك العبارات الجاهزة دائماً لتبرير حماقتكم وأخطائكم .

من فضلك دعيني أتصرف على طريقتي وبحرية أكثر إذا أردتم حقاً الاستفادة من خدماتي .

تحركت لتقف في مواجهته قائلة :

- مسيو (حسام) .. من تظن أنك تخدع ؟ لا تنس أنك تتعامل مع محترفين يجيدون أداء عملهم .

نظر إليها بتحد قائلاً :

- حسناً إذا لم تكونوا واثقين من أدائى لعملى فلنعتبر الأمر منتهياً واعتبرونى منذ هذه اللحظة خارج اللعبة .

- حتى لو كان الثمن هو حياتك ؟ !

- أيّا كان الثمن .

- ألا ترى أن يعد ثمننا باهظاً لعاطفة حمقاء .

- تلك العاطفة التى تتحدثين عنها لم تعد لها مكاناً فى حياتى ..
فتلك الفتاة أرادت أن تخدعنى باسم الحب .. وأنا أستطيع أن أفعل الشيء

نفسه معها .. خاصة أنها جاءت لتخبرني بموافقتها على زواجنا .. هذا يعني أنه يمكن أن تصبح في حوزتي بالكامل .

ضحكت (نورما) ضحكة عالية .. قائلة :

- لم أكن أظن أنك على هذا القدر من السذاجة .. ألا تفهم معنى مطالبتها لك بالسفر معها إلى (الأردن) لعقد زواجكما ؟

- أعرف أنها تريد استدراجي إلى هناك لتقدمني على طبق من الذهب إلى الأمريكان وأعوانهم .

لكنها لا تعرف أنني أعرف ذلك .. وهذا يجعلني متفوقاً عليها .
هل تعلمين أنت من هو شقيقها الذي تريد أن تقدمني له ؟

إنه واحد من أبرز قادة المقاومة العراقية .. ولديه معلومات أكبر أهمية بكثير مما قدمته لكم من قبل .

- هل تقصد ... ؟

- أقصد أنني لن أسافر معها إلى (الأردن) كما تريد .. بل سأسعى إلى إقناعها بأن تأتي بأخيها إلى (فرنسا) بعد مغادرته (للعراق) وسفره إلى (عمان) .

وعندما يأتي إلى هنا سيكون صيداً سهلاً بالنسبة لكم .. خاصة وأنني أعرف أن لديكم وسائل شديدة الإقناع للاستفادة مما لديه من معلومات .

- ومن أين حصلت على تلك المعلومات عن أخيها ؟

بطريقتي الخاصة وبهذا أكون قد قلبت المائدة عليها وتناثروا أنتم ما

تبعونه .

بقيت صامته لبرهة وهي تفكر .

بينما اقترب منها ليهمس في أذنها قائلاً :

- دعيني فقط أتصرف دون قيود وبحرية أكثر حتى لا تشيروا الانتباه .. فلا

تس أنها هي الأخرى عميلة مدربة ومحترفة ولن يمضي وقت طويل حتى

تتبه إلى تلك الوسائل التي تتبعونها وتأخذ حذرهما .

قالت له مترددة :

- لكن

قاطعها قائلاً :

- تأكدي أنني سألجأ إليكم إذا ما اقتضت الضرورة ذلك كما فعلت من قبل

ولكن حتى تحين تلك اللحظة أريد قدرًا من حرية الحركة .



الفصل الثامن

شاركته إلقاء الحبوب لتلك الطيور السابحة في البحيرة أمامهما وهي
ترنو إليه بنظراتها من أن لآخر .

كان الطقس رائعا .. والهدوء يخيم على المكان ليضفى عليه مزيداً من
الراحة والرومانسية .. وقد لفهما الصمت رغم فورة مشاعرهما .

وما لبث أن قطع هذا الصمت بينهما قائلاً :

- لقد رتبت أمورى لنسافر معاً .

- إلى أين ؟

- (الأردن) .. كما قلت .

قالت له بصوت مضطرب :

- لن يكون هناك سفر .

- هل تأجل ؟

ضعفت وهي تهز رأسها قائلة :

- إلى أجل غير مسمى .

نظر إليها بدهشة قائلاً :

- لماذا ؟

ن

بقيت صامته دون أن تجيبه فاستطرد قائلاً وقد قطب جبينه :

- أهى إحدى تقلباتك المفاجئة ؟ لقد كنت تلحين على لنسافر إلى (الأردن)
ونلتقى بأخيك ونعقد قراننا هناك .

قالت دون أن تلتفت إليه :

- وتمنعت أنت فى البداية .. أليس كذلك ؟ بقدر ما أردت أن تأتى معى
بقدر ما تمنيت لو رفضت ذلك وتمسكت برفضك .

قال لها باستغراب :

- أنا لم أعد أفهمك على الإطلاق .

أشاحت بنظراتها إلى البحيرة قائلة :

- أنا أيضاً لم أعد قادرة على فهم نفسى .

أسك بذراعيها ليدير وجهها إليه قائلاً :

- قولى لى ما الذى تريدنيته منى بالضبط ؟

تطلعت إليه بحيرة وتردد قبل أن تجيبه :

- أريد أن أبقى معك بقية عمرى .. وأن أكون زوجتك دون أن يفرق أى

شئ بيننا أبداً .

- إذن لم تتراجعين فى كل مرة عما تقولينه ؟ ولم أشعر بهذا التردد فى

مشاعرك وقرارتك ؟

غضبت قائلة :

- لأن هناك من يريدون حرمانى من كل ما تمنيتته معك . وإلحاق الأذى

بي وبك .

تمعن في وجهها وقد ضاقت حدقتها قائلاً :

- ماذا تقصدين ؟ من هم هؤلاء الذين تتحدثين عنهم ؟

أطلقت زفرة طويلة من صدرها وهي تطرق برأسها قائلة :

- سأعترف لك بكل شيء فلم أعد قادرة على إخفاء الحقيقة عنك أكثر من

ذلك .. سأقول لك كل شيء مهما كانت العواقب .

رفع وجهها إليه قائلاً :

- وأنا أريد أن أسمعك .

- قبضوا على أخي (علاء) في (العراق) بتهمة الانتماء إلى إحدى

جماعات المقاومة هناك . رغم أن (علاء) كما تعرف كان شخصاً مسالماً

دائماً ولا علاقة له بأي من تلك الجماعات الجهادية سواء المعتدلة أو

المتطرفة .

لكنه عبر عن رفضه للعدوان الأمريكي على (العراق) بالمشاركة في

بعض المظاهرات المناهضة للغزو الأمريكي وعملائه المساندين له .. ليس

أكثر من ذلك .

والحقيقة هي أنه لم يكن التظاهر أو المشاركة في عمليات المقاومة

هو السبب الحقيقي وراء اعتقاله .. بل أرادوا استخدامه وسيلة للضغط

على كي أتعاون مع إحدى الأجهزة الأمنية للحكومة القائمة في (بغداد) الآن

والتي تتعاون بدورها مع المخابرات الأمريكية .

كان المطلوب منى هو استدراجك إلى (الأردن) أولاً ليقوم أعوانهم باختطافك ونقلك إلى (العراق) .

لا أدري كيف علموا بالصلة التي بيننا رغم انقضاء سنوات طويلة على فراقنا .

ربما عثروا على بعض الصور التي تجمعنا ونحن صغار والتي كان يحتفظ بها (علاء) فى منزله . وربما بوسائل أخرى .

المهم أنه تبين لهم أننا متحابان .. وأن العاطفة التي ضمتنا لم تجد لها منافسا فى قلب أحدنا طوال السنوات التالية التي فرقت بيننا .

وكانوا يعلمون كل شىء عنى وعنك .. الأماكن التي نقيم فيها ووظائفنا فى (اسكتلندا) و (فرنسا) .. وعلاقاتنا الشخصية .

وأرادوا استغلال كل ذلك لتنفيذ لهم ما أرادوه .

كنت أمام اختبار شديد القسوة .. فقد ساومونى على حياة أخى الوحيد وحرية مقابل تنفيذ خطتهم بشأنك فلم أجد مفرًا من الخضوع لأوامرهم .

كان لقائى بك مدبرًا منذ البداية .

المائدة القريبية من مائدتك فى الكافيتريا والتي تعمدت الجلوس إليها . وتظاهرى بالجهل باللغة الفرنسية .. ثم التحدث إلى النادل باللغة العربية لتسبب التباهك ودفعت للتحدث معى .

وكنتم مرغمة على التصرف على هذا النحو فى البداية .. لكن حينما

رأيتك أمامي واستعدت في لحظة ذكريات سنين جميلة من عمرنا مضت
تمنيت أن يفشل هذا التدبير وأن لا تتعرف على أو تتجاهلني لأجد سبباً
يعفيني من تلك المهمة الشاقة على نفسي .

لكنك تعرفت على .. وحاولت أن أتجاهل مشاعري نحوك لأنجح في تنفيذ
ما طلبوه لكني لم أستطع .

فالمشاعر القديمة تجددت .. بل وازدادت عنفواناً .

وسرعان ما تبين لي أن الماضي الذي ظننت أن الزمن قد طواه ما زال
حيّاً بداخلي ولم تتغلب عليه السنين رغم الفراق .

ووجدت نفسي أكاد أحترق بين نارين .. المشاركة في عمل إجرامي
ضحيت به الشخص الوحيد الذي أحببته أو ترك أخى لمصير غامض ومرعب
بين أيدي أشخاص لا يرحمون .

هذا هو السر الذي أخفيته عنك والسبب وراء التغيرات التي اعترتني
تجاهك .. وحال التمزق التي كنت أعيشها طوال الأيام الماضية .

لقد أردت أن أصارحك اليوم بكل شيء لأنني لم أعد قادرة على الاستمرار
في تنفيذ أوامره وخداعك .. رغم كل ما يمكن أن يؤدي إليه ذلك من نتائج .

أريدك أن تعرف فقط أنني كنت صادقة ومخلصة تماماً في كل ما يتعلق
بعاطفتي نحوك وإن كنت لا أستطيع ولن أستطيع أن أسامح نفسي على
الدور الذي اضطررت لأن أعبه معك .

ظل صامتًا لبرهة قبل أن يقول لها بهدوء :

- كنت أعلم ذلك .

نظرت إليه بدهشة قائلة :

- كنت تعلم .

هز رأسه قائلاً :

- أجل علمت به مؤخرًا .. وكنت أنتظر أن تصارحيني بالحقيقة التي

تخفيها وأدعو الله أن تفعلى لا شىء سوى ما كنت آمله من أنه لا يخيب رجائى فيك .

ولأن قلبى كان يرفض أن يصدق أنك تخدعيني وأن الحب الذى عاد ليتجدد بيننا لم يكن سوى مجرد وهم تصوريته .

كنت موقنًا أنه لا بد وأن هناك سببًا ما أقوى منك يضطرك لأن تتصرفى معى على هذا النحو .

- أنا أيضًا رفضت تصديق كل ما أخبرونى به عنك لإقناعى بمشاركتهم فيما يريدونه .

- وما الذى أخبروك به عنى ؟

الفصل التاسع

- قالوا إنك ساهمت في سرقة وتهريب بعض الآثار العراقية الهامة التي كان يضمها المتحف العراقي وتم المسطو عليها بعد الغزو الأمريكي مباشرة.. ويريدون اعتقالك لمعرفة مكان تلك الآثار والأشخاص الذين استولوا عليها وطريقة تهريبها إلى الخارج.

حاولوا أن يوهمونى بأنك شخص آخر غير (حسام) الذى عرفته ولست بتلك الصورة المثالية التى أحملها لك.. بل مجرد شخص محتل ونصاب تحول فى النهاية إلى مهرّب للآثار.. وأنت انضمت لعصابة دولية متخصصة فى ارتكاب ذلك النوع من الجرائم.

أعترف أنتى صدقتهم فى البداية.. فندبهم وسائل بارعة فى الإقناع.. لكن شيئاً ما بداخلى ظل يرفض الاقتناع بأن (حسام) الذى عرفته فى صباى يمكن أن يكون على هذا النحو الذى يصفونه به.. وإن كنت ما زلت أتساءل عن السبب الذى يجعلهم يسعون خلفك.

فهل لديك إجابة عن ذلك ؟

أطلق زفرة طويلة من صدره قبل أن يغمغم قائلاً :

- لقد سألتنى ذات مرة عما إذا كنت قد سافرت إلى (العراق) أم لا.

- وأنت أخبرتنى بأنك لم تفعل.

حدها بنظرة طويلة صامتة قبل أن يشيح بوجهه قائلاً :

.. لقد كذبت عليك .. فقد ذهبت إلى (العراق) بالفعل وبعد عام ونصف فقط من الغزو الأمريكى .

وقتها كنت أمر بظروف نفسية ومادية قاسية للغاية .

كنت قد فقدت وظيفتى وتراكت على الديون وتوفيت والدتى مما جعلنى أفر فى الهجرة إلى الخارج .. لكننى لم أكن أملك حتى ثمن التذكرة .

وفى تلك الفترة ظهرت إعلانات فى الجرائد اللبنانية لبعض شركات الأمن والحراسة مجهولة المصدر تطلب فيها تعيين عدد كبير من موظفى الأمن للعمل لحسابها مقابل رواتب مالية مغرية وبشرط أن يكون للمتقدمين خبرة سابقة فى أعمال الأمن أو التدريب العسكرى .

ولأننى كنت قد أنهيت فترة التحاقى بالجيش اللبنانى منذ فترة قصيرة ضمن وحدة من القوات الخاصة اللبنانية فقد وجدت هذا العرض ملائماً بالنسبة لى .

وأملت من خلال توظيفى فى إحدى تلك الشركات جمع مبلغ من المال الذى لسداد بعض ديونى ومساعدتى على السفر إلى أوروبا .

لم ألق أية صعوبات فى الموافقة على تعيينى بالشركة الأمنية نظراً لخبرتى العسكرية وتدريبى المميز .

لكن بعد فترة قصيرة من العمل تبين أن كل من عينوا بها تم ترشيحهم للسفر إلى (العراق) ليعملوا في فرعها هناك ولحساب جهات أخرى من بينها شركات النفط العراقية .

اعترض الكثير منا على ذلك في ظل الظروف القائمة في (العراق) لكنهم خبرونا ما بين التعاقد والسفر في مقابل حوافز إضافية ومرتبات ضخمة أو إنهاء كل تعاقداتهم معنا مما جعل بعضنا يتراجع عن الرفض وكنت أنا من بينهم لسببين .

أولاً .. حاجتي الشديدة للمال .. وثانياً .. لأنني كنت أمل أن أتمكن من الوصول إلى مكانك والالتقاء بك هناك .

وكان جزء من التبرير بنا وإجبارنا على العمل لحساب الشركة الأمنية هو التوقيع على شروط جزائية في عقود التعيين تتضمن سداد مبالغ مالية كبيرة للغاية كتعويض للشركة في حالة إنهاء التعاقد من جانبنا أو عدم الالتزام ببند العقد كاملة قبل انتهاء مدة التعاقد .

وهكذا أدركت في النهاية أنني تورطت في الأمر وأن الغرض من وراء العروض التي قدمتها تلك الشركات الأمنية والتي انتشرت إعلاناتها في العديد من الصحف والمجلات العربية وقتها هو الدفع بالعديد من الأشخاص المدربين أمنياً وعسكرياً لحماية المنشآت والجهات التي يرغب الأمريكيون وحلفاؤهم بحمايتها لتخفيف العبء على جنودهم وأجهزة الأمن التي تعمل لحسابهم والتي كانت تلقى ضربات موجعة من المقاومة العراقية وقتها .

وبالرغم من عدم رضائي عن هذا العمل إلا أنني لم أقوَ على الانسحاب
أو التراجع .

لكن مع مرور الوقت تبين لى أنه حتى هذا العمل الكريه الذى قبلته على
مضض كان أهون بكثير من الدور القذر الذى طلب منى تنفيذه فيما بعد .

فبعد شهرين فقط من عملى فى العراق بإحدى شركات النفط فوجئت
باستدعائى لمقابلة شخص ما تبين لى فيما بعد أنه يعمل لحساب
الاستخبارات الأمريكية وأنه يطلب منى المشاركة فى قيادة إحدى السيارات
المفخخة والتى تحتوى على كمية كبيرة من المتفجرات لتفجيرها فى إحدى
المناطق الشيعية المكتظة بالسكان مقابل مبلغ كبير يدفع لى فى حالة تنفيذ
المهمة بنجاح .

لحظتها أدركت حجم الدور القذر الذى يلعبه هؤلاء لتمزيق النسيج
الوطني للعراقيين .

وأن المهمة المطلوب منى تنفيذها هى جزء من مخطط شيطاني يهدف
إلى إشعال الفتنة الطائفية والمذهبية لتحويل العراق إلى أتون ملتهب لحرب
أهلية مروعة .

وبالطبع كان سيطلب منى بعدها القيام بعمل مماثل في منطقة سنية
مكتظة بالسكان لتحقيق ذات الغرض .

وهكذا يتم تشويه دور المقاومة الوطنية الحقيقية وضرب العراقيين
بعضهم ببعض بدلاً من اتحادهم في مواجهة الاحتلال الأمريكي وأذنا به .

صمت برهة وهو يتلفت حوله حتى يتأكد أنه غير مراقب قبل أن يستطرد
قائلاً :

- ولم أكن مستعداً للمشاركة في تلك الجريمة البشعة وتنفيذ المهمة التي
طلبوها منى .

لكن فكرت أنه في حالة الرفض الصريح فإنهم لن يتوانوا في التخلص
منى وقتلى بعد أن كشفوا لى عن مخططهم وأهدافهم وما يمكن أن يترتب عليه
ذلك من فضح هذا المخطط الدموي أمام العالم .

خاض أن بعض زملائي اختفوا أيضاً فجأة وبدون مقدمات في ظروف
مشابهة .

لذا قررت أن أماطلهم وطلبت من ضابط الاستخبارات الأمريكي أن
يمنحني مهلة قصيرة من الوقت للتفكير في الأمر في الوقت الذي اتخذت فيه
قرارى الحاسم بالهرب إلى خارج العراق والبدء في التدبير لذلك .

كنت واثقاً أنه حتى لو نجحت في الهرب فإنهم لن يتركونى بسهولة
وسيلحقوننى أينما ذهبت بعد أن أصبحت مصدر خطر بالنسبة لهم لذا
استغللت موهبتى السابقة في التعامل مع الإلكترونيات وقمت بتسجيل اللقاء

الثانى الذى جمع بينى وبين المسئول الذى سعى لتجنيدي من أجل القيام بهذه العملية صوتًا وصورة بعد أن استدرجتهم للإفصاح عن كل تفاصيل العملية والمراد منى تنفيذها .

وبذلك أصبح لدى دليل قاطع وموثق على جريمتهم البشعة والمؤامرات التى يحكونها .

وتمكنت من طبع هذا التسجيل على عدد من السيديات ، ثم بدأت فى تنفيذ خطة الهرب بعد أن أتلفت المتفجرات وألقيت بها فى الماء .. لكنهم قبضوا على قبل أن أتمكن من الهرب وعبور الحدود وهددوني بالقتل فأعطيت لهم إحدى السيديات وهددتهم بدورى أنه فى حالة عدم الإفراج عنى وسماحهم لى بمغادرة العراق خلال أربع وعشرين ساعة فإن صديقًا لى فى الخارج سيعرض نسخة ثانية من السى دى فى إحدى القنوات الفضائية على الملأ وأمام كل وسائل الإعلام الدولية لفضح مؤامرتهم .

ترددوا فى البداية .. لكن أوامر عليا صدرت بالإفراج عنى والسماح لى بالسفر بعد أن أدركوا جدية ما أقوله .

وكما توقعت لم يتوقفوا عن ملاحقتى فى الخارج وتعقبونى فى فرنسا فى محاولة للعثور على أى خيط يقودهم إلى الشخص أو الجهة أو بقية النسخ الموجودة من السيديات ، ثم التلصص منى بعدها .

والحقيقة هى أننى لم أكن قد أرسلت أية نسخ إلى الخارج لكنى لجأت لتلك الحيلة لأؤمن نفسى ونجحت فى ذلك بالفعل .

لكنى كنت مدركاً أنهم آجلاً أم عاجلاً سيعرفون أنه لا وجود لهذا الشخص
الذى ادعيت أنه مما يجعلهم يقومون بتصفيتي بعد الاستيلاء على كل ما بحوزتي
من السدييات .

مما دعاني للتفكير في اللجوء إلى جهة أخرى قوية يمكنها أن توفر لي
الحماية التي أحتاجها .

جهة يهملها الحصول على نسخة من السى دي ليمنها استخدامه في
خدمة أغراضها السياسية .

وهكذا لجأت إلى السفارة الروسية في فرنسا حيث دبروا لي لقاء مع
مسئول كبير في الاستخبارات الروسية والذي استمع لي بعناية بعد اطلاعه
على السى دي وتمت الموافقة على توفير الحماية المطلوبة لي .. بل وتأمين
حياتي المعيشية أيضاً بشرط أن أعطيهم كل النسخ التي لدى وألا ألبأ إلى
استخدام أى نسخة أخرى قبل أن يسمحوا لي بذلك .

ولم أجد مناصاً من قبول العرض .

لكنى سرعان ما اكتشفت أن هؤلاء الذين لجأت إليهم طلباً لحمايتي
لا تعنيهم حياتي ولا حمايتي في شيء بقدر ما يعنيهم استخدامي لتحقيق
أغراضهم .. وأننى أصبحت جزءاً من لعبة سياسية واستخباراتية كبرى .

كنت مدركًا لشيء من هذا في البداية بالطبع لكن الأمر تعدى كونى ورقة رابحة يريد أن يستخدمها الروس فى مواجهة الأمريكان إلى السعى لتحويلى إلى عميل لهم .. ليس وحدى ولكن أنت أيضًا .

نظرت إليه بدهشة قائلة :

- أنا .

- أجل .. فقد علموا بالمهمة التى أرسلك من أجلها الأمريكان وحلفاؤهم إلى (فرنسا) فأرادوا منى بدورهم أن أكون الطعم الذى يصطادونك به ليقوموا بتجنيدك لحسابهم ومن ثم تحويلك لعميل مزدوج .

- كنت أظن أن الصراع بين الأمريكان والروس قد انتهى بنهاية الحرب الباردة .

- فى عالم السياسة والمصالح الاستراتيجية الكبرى فإن الصراعات والمناورات والمساومات لا تنتهى أبدًا مهما بدا على السطح من أشكال دبلوماسية تبعث على الثقة والتفاؤل .

وبالنسبة لى فأنا مدرك الآن تمامًا أن هؤلاء الذين سعيت للاستعانة بهم من أجل تأمينى لن يتورعوا لحظة واحدة عن تسليمى للأمريكان إذا ما اقتضت مصالحهم ذلك ويمكن أن أصبح فى أى وقت جزءًا من صفقة يتم الاتفاق عليها بين الطرفين .

ارتسمت ملامح القلق على وجهها وهى تقول :

- لقد أخطئت منذ البداية وكان يتعين عليك تنفيذ ما هددت به واطلاع العالم بأسره على مؤامرتهم الشيطانية .

فما أرادوه منك خطير للغاية ومروع وإذا كانوا قد فشلوا معك فلا بد أنهم نجحوا مع غيرك ممن باعوا ضمائرهم وإنسانيتهم .

فما زال الآلاف من الضحايا يقتلون بسبب تلك السيارات المفخخة وسط الأسواق وفي المساجد والكنائس والعديد من المناطق في (العراق) والفتنة تزداد اشتعالاً يوماً بعد يوم في بلادى التى تساق إلى حرب أهلية وطائفية يدفع الجميع ثمنها على نحو ما أراده هؤلاء المتآمرون .

وكان يمكنك فضح ذلك التآمر وما يخلفه من مجازر بطريقة أكثر فاعلية خاصة أن معك الدليل الموثق على ذلك .

- صدقيني كانوا سيقتلوننى قبل أن أتمكن من ذلك .

- هم أذكى من ذلك ويعرفون جيداً عواقب الإقدام على حماقة كهذه .

كل ما كان بإمكانهم فعله هو استخدام كل حيلهم وأكاذيبهم لمحاولة دفع ذلك الاتهام عنهم وليس إثارة المزيد من الشبهات والرأى العام العالمى ضدهم .

- ومن قال إنهم كانوا سيسمحون لى بداية من الوصول إلى كاميرات التلفزة لكشف تلك الحقائق ؟ لقد شعرت بأنهم يترقبوننى بالقرب من كل مبنى إعلامى يمكن أن أقرب منه فى (فرنسا) .

بصراحة كل ما فكرت فيه هو أن أنجو بنفسى وأمارس حياتى بطريقة طبيعية بعيداً عن كل ما يمكن أن يهدد حياتى ومستقبلى .

قالت له بشىء من الانفعال :

- هناك آخرون غيرنا يواجهون الموت فى (العراق) كل يوم ويضحون بحياتهم دفاعاً عن حريتهم وأوطانهم ومبادئهم .

- (دعاء) أنا لست بطلاً ولا أملك شجاعة هؤلاء الذين تتحدثين عنهم .. أنا شخص عادى يحب الحياة ويريد أن يعيشها .. ثم إننى لست عراقياً لتطالبيتنى بتلك التضحيات رغم تأييدى للشعب العراقى ونضاله فى مواجهة الاحتلال .

كل ما كان بإمكانى أن أفعله لأجل هذا الشعب هو ألا أكون جزءاً من المؤامرة الشيطانية التى يدبرونها ضده .. وكدت أدفع حياتى بالفعل ثمناً لذلك .

- لكنه يبقى فى النهاية مجرد تصرف سلبى .. هل نسيت ما كنا نقوله ونحن صغار حول القومية العربية والوحدة العربية والوطن الأم الذى يضمنا جميعاً .

أليس (العراق) جزءاً من ذلك الوطن الذى كنا نحلم به وقتها ؟

وهل نسيت ما قلته لى من قبل ونحن فى (لبنان) ؟ أنه إذا تعرض (لبنان) للخطر فكلنا لبنانيون .. وإذا تعرضت مصر للعدوان فكلنا مصريون

وأنتا شئنا أم أبينا نحمل في صدورنا فرحاً عربياً واحداً .. وهماً عربياً
واحداً .. وحلماً عربياً واحداً .
أليست تلك هي أفكارك ومبادئك التي جعلتني أؤمن بها في الصغر ؟



الفصل العاشر

أطلق زفرة طويلة من صدره قائلاً :

- كنا صفاراً .. وتلك الأفكار والشعارات التي نتحدثين عنها صارت جزء من الماضي .. ولم يعد لها وجود الآن .. فالعالم قد تغير يا (دعاء) .

- البعض لا يتغيرون بتلك البساطة التي تتحدث بها .. هناك أشياء ترسخ في القلوب لا يسهل تغييرها .. وهناك آمال وأحلام لا يمكن أن تلقى بها وراء ظهورنا .

لقد افترقنا لسنوات طويلة تبدلت خلالها أشياء كثيرة في حياتنا .. وظننا أن مشاعر كل منا تجاه الآخر قد تبدلت معها .. لكن ها نحن قد عدنا للتلقى لجدنا ما زالت باقية على ما هي عليه .

١٠

- هذا عن الحب .

- وكذلك عن الوطن والعروبة وكل ما كنا نؤمن به في صغرنا قال لها ستظا وهو يبتسم :

- أنت ترسمين للعالم حولنا صورة رومانسية غير حقيقية .

- أنا أتكلم عما أعرفه عنى وعنك .

- لم يكن هذا هو كلامك في البداية .. أين ذهبت نعمتك على العرب الذين ظفروا عن (العراق) وهو يتعرض للعدوان ؟

وماذا عن اتهامك لنفسك بأيثار السلامة بعيداً عما يجري في بلادك والرضوخ لحياة آمنة ومستقبل ناجح في (أسكتلندا) ؟

- لا أنكر شعوري بالمرارة لعدم وجود مساندة حقيقية من الدول العربية للعراق في محنته .. لكن هذا كان بدافع من إيماني بعروبتى ولأننى كنت أتوقع الكثير من شعوب هذه الأمة تجاه وطنى .

لكن سرعان ما تبين لى أننى كنت أنظر إلى الصورة من جانب واحد .. الجانب المظلم فقط .. فقد لمست الكثير من مظاهر المساندة ومناصرة الشعب العراقي والمقاومة العراقية خلال لقاءات كثيرة جمعتنى بالعديد من أبناء الدول العربية الإسلامية المختلفة الذين التقيت بهم في أوروبا ومن خلال المظاهرات المؤيدة للعراق والتي شاركت في بعضها وكذلك عبر وسائل الإعلام والمواقع الإلكترونية .

مما أكد لى أن هذه الأمة لم تمت أحاسيسها ومشاعرها ولم تفقد انتماءها بعد .. وما زالت حتى ولم تدرك ذلك تؤمن بالمصير الواحد لأمة واحدة .. وهذا هو الجانب المضىء الذى لم أنتبه له في البداية .

أما ما قلته عن نفسى فلم يكن سوى نوع من جلد الذات لإحساسى بالذنب تجاه وطنى ..

لكنى لم أكن أملك من أمرى شيئاً ولم أكن لأفيد بلادى بشيء لو قدمت نفسى قرباناً للمحتلين وأذئابهم بأكثر مما كنت أفعله في (أسكتلندا) من ندوات ولقاءات لشرح حقيقة ما يدور هناك ومن جانب آخر أردت من كلامى أن أوقف ضميرك وأولمك حينما تصورت أنك شاركت بالفعل في

جرائم الاحتلال بسرقة الآثار والتاريخ العراقي رغم أن شيئاً بداخلي كان يرفض ويصر على عدم تصديق ذلك .

وها أنا قد تأكدت من صدق إحساسى وأدركت أن ظنى فيك لم يخب كما توقعت .

مسح بيده على شعرها قائلاً :

- لم تفقدى نقاءك الذى عرفتك عليه بعد يا (دعاء) .

مالت برأسها على يده قائلة :

- أظن كل شىء قد أصبح واضحاً بيننا الآن بعد أن تصارحنا .

قطب جبينه قائلاً :

- لكن المازق الذى نعيشه ما زال قائماً . فمازلت مطالبة بأن تسلمينى

اليهم أو تفقدين شقيقك إلى الأبد .

تهتبت بعمق وقد اعتراها الحزن وهى تغغم قائلة :

- وأنا لن أسمح بتعرضك لأى أذى بسببى .

- إذن ما هو الحل ؟

- علينا أن ندير للأمر .

توقفت سيارة سوداء فارهة في منطقة قريبة من الحدود الأردنية العراقية ليغادرها ثلاثة أشخاص ضخام الجثة مفتولى العضلات .

حيث قام أحدهم بفتح الباب الخلفى من السيارة ليدلف إلى الخارج رجل متوسط القامة قصير الشعر على عينيه نظارة سوداء قاتمة العدسات .

لتلحق بهم سيارة أخرى من طراز شيروكى بها أربعة مسلحين . . سارعوا بمغادرتها ليأخذ كل منهم لنفسه موقعاً خلف الأشجار المحيطة بالمكان .

وعلى مسافة مائتى متر من المكان فى الجهة المقابلة كانت هناك ثلاث سيارات أخرى ترحل منها مجموعة من الأشخاص المسلحين والملثمين اختفوا بدورهم خلف الأشجار والصخور .

لم يكن هناك شك أن هؤلاء الأشخاص مدربون تدريباً فنياً عالياً لأداء المهمة التى أتوا من أجلها .

وبعد لحظات قليلة نزع الرجل ذو الشعر القصير النظارة عن عينيه ليضع بدلاً منها نظارة أخرى مكبرة قدمها له أحد أعوانه وهو يتأمل السيارة الزرقاء التى اقتربت لتتوقف على مسافة سبعين متر فى الجهة المقابلة مباشرة .

وقد غادرتها (دعاء) وهى تضع فوق عينيها نظارة ذات عدسات بنية

وما لبث أن خفض الرجل نظارته المكبرة وهو ينظر إليها بلامح متجهمة واضعاً هاتفه على أذنه ليحادثها :

- أرى أنك أتيت بمفردك .

قالت له بهدوء :

- هو لم يأت معي بالفعل .. بل سبقني إلى هنا .

- أين هو إذن ؟

- أين أخى أولاً ؟

أوما الرجل برأسه إلى أحد أعوانه فتوجه إلى السيارة ليخرج منها شاب نحيل الجسد مشعث الشعر تبدو عليه ملامح الإعياء الشديد .

وقد قبض على ساعده دافعاً به أمامه .

بينما عاد الرجل ليتحدث في الهاتف قائلاً :

- ها هو شقيقك .

تناولت (دعاء) بدورها منظاراً مكبراً لتتظر من خلاله إلى أخيها .. وقد فلق قلبها بشدة مرعدة بصوت خافت النبرات :

- (علاء) .. الحمد لله .

عاد الرجل ليقول :

- حسناً .. والآن أين الشخص المنشود ؟

أطلقت (دعاء) صغيراً متقطعاً ظهر على أثره (حسام) من خلف عدة كتل صخرية متلاصقة ليقف بجوارها .

- ها هو الشخص الذى تريدونه .. الآن دعنا نقوم بالتبادل وفقاً للشروط التى اتفقنا عليها .

سيأتى (علاء) إلى هنا وبمفرده مقابل ذهاب (حسام) إليكم على أن يتم ذلك بخطوات محسوبة .

كل بضعة خطوات يخطوها (علاء) نحوى يقابلها نفس العدد من الخطوات التى سيخطوها (حسام) ليتم التبادل فى توقيت واحد .

سألها الرجل قائلاً :

- هل أتى صديقك طواعية ؟

- هذا أمر لا يعنيك .. المهم أننى أحضرته كما طلبتم .

- لكن أنا أيضاً لى شرط أتمسك به وأصر عليه .

- وما هو ؟

- لا مانع لدى من رحيل أخيك لكنى أريدك أن تأتى إلينا برفقة صديقك

فى المقابل .

انفعل (حسام) قائلاً :

- كلا .. هذا أمر مرفوض .

بينما قالت (دعاء) بهدوء :

- نحن لم نتفق على ذلك .

قال لها ساخرًا :

- تستطيعين أن تعتبرى ذلك شرطًا إضافيًا فى اتفاقنا .

قال (حسام) بإصرار :

- لن أسمح لك بالذهاب إليهم .

فكرت قليلًا .. ثم قالت دون أن تأبه لإصراره :

- حسنا .. دعنا نبدأ فى التحرك .

التقت (دعاء) بشقيقتها فى منتصف الطريق ليلقى كل منهما بنفسه فى

أحضان الآخر فى اشتياق وحنين جارف .

لكن هذا لم يحل دون أن تهمس فى أذنه قائلة :

- حينما تصل إلى سيارتى لا تتوقف بل واصل سيرك وأسرع الخطى

دون أن تنتظر خلفك وسيظهر لك من يحدد مسارك فيما بعد .

همس لها بدوره قائلاً :

- وماذا عنك ؟

- لا تقلق .. كل شىء سيكون على ما يرام .. سنلتقى مجددًا بأسرع مما

تظن .

وتركته لتواصل طريقها برفقة (حسام) حتى أصبحا وجهًا لوجه أمام
الرجل ذي الشعر القصير وأعوانه .

وقد انفرجت أساريره كاشفاً عن ابتسامة تهكمية وهو ينظر إلى (حسام)
قائلاً :

- افتقدناك كثيراً يا صديقي .. لكن ها نحن قد عدنا لللتقى على أية حال .
قال له بهدوء :

- لا يمكنني الادعاء بأنني قد سررت بهذا اللقاء .. وأظن أننا سويننا كل
الأمر العالقة بيننا في آخر لقاء .

- بالنسبة لنا فالأمر لم تسو بعد .

ودفعه أحدهم بمؤخرة سلاحه لركوب السيارة . لكنه قاومه ملتفتاً لغريمه
وهو يقول :

- لقد أردتني أنا .. وأنا مستعد للذهاب معك أينما تشاء أما هي فلا حاجة
لك بها .. دعها تذهب لتلحق بأخيها .

لكنه جذبها من ذراعها بغلظة وهو يصوب إليها مسدسه قائلاً :

- هي أيضاً لم يسو حسابها بعد .. ثم إن ضميري لا يسمح لي بالتفرقة
بين عاشقين مغرمين مثلكما .

ستكون هي ضمانتنا لتعقلك هذه المرة .. فلا أظن أنك سترضى بتشويه هذه الوجه الجميل لحبيبتك الحسناء .

قال له منفعلًا :

- وغد حقيير .

قالت (دعاء) وهى تنظر إلى الرجل بازدراء :

- كنت واثقة أنكم ستغدرون بنا فى النهاية .. فهذا من شيمتكم .

ألقى فوهة مسدسه برأسها وهو يدفعها أمامه قائلاً :

- اللعبة مفتوحة يا عزيزتى وبدون قواعد .. ما يعنينا فى النهاية هو

نتائجها .. هيا تقدم أمامى .

حاول (حسام) المقاومة مجددًا لكن الشخص الذى يصحبه ضربه بمؤخرة السلاح فى رأسه ليجبره على ركوب السيارة التى تقف على مقربة منهما .

وفى تلك اللحظة انطلقت فجأة رصاصة من مسافة غير بعيدة لتستقر فى رأس صاحب الشعر القصير وليخر على أثرها صريعًا .

وقد استغل (حسام) عنصر المفاجأة الذى أصاب أعوان الرجل بالارتباك ليمسك ضربة قوية بمرفقه إلى فك رفيقه .

وقد أتبعها بركلة أشد قوة منتزعا السلاح منه .
وسرعان ما برز الرجال المثلثون من كل اتجاه ليحيطوا بالمكان ولتدور
معركة ضارية بالأسلحة النارية بينهم وبين أعوان الرجل .
بينما سارع (حسام) بحماية (دعاء) ملقيا بها أرضا بعيدا عن الطلقات
المتبادلة بين الطرفين .. وقد أخذوا يزحفان بعيدا عن ميدان المعركة قبل أن
ينهضا ليواصلتا طريقهما ركضا من حيث أتيا .
وقد قفزا داخل السيارة التي أتت بـ (دعاء) لتنتقل بهما سريعا .



الفصل الحادي عشر

استمرت السيارة في مواصلة سيرها لمدة ثلث ساعة تقريباً حتى وصلت إلى حيث توجد طائرة مروحية رابضة في انتظارهما لينتقلا إليها وقد حلفت بهما على الفور .

وما إن استقرا بداخلها حتى وجدا (علاء) وقد عاد ليحتضن شقيقته بلحظة شديدة وكل منهما يهنئ الآخر على نجاته .

أشارت (دعاء) إلى (حسام) قائلة لأخيها :

- هل تعرف من هو هذا الشخص ؟

ابتسم (علاء) وهو يصفحه بحرارة قائلاً :

- وكيف أنسى جارنا وصديقنا القديم (حسام) .. صحيح تبدلت ملامحه

لئلا لكنى لا أنسى تلك الابتسامة الودودة التى ميزته دائماً .

قال (حسام) مبتسماً بدوره :

- أما أنت فقد أصبحت مختلفاً كثيراً عن ذلك الصبي الشقي التحيل الذى

عرفته بعد أن صرت ببتلك الملامح الرجولية والوسامة التى لا بد وأنها

لجذب اهتمام الكثير من الفتيات .

أطرق (علاء) قائلاً بمرارة :

- سيدهشك أيضاً ما يمكنني أن أطلعك عليه من أثار التعذيب التي يحملها جسدي خلال فترة اعتقالى .. وإن كانت الآثار النفسية والمعاناة التي مررت بها هي الأكثر إيلاماً سترافقتي طويلاً .

ربتت (دعاء) على ظهره بحنان قائلة :

- ستعود إلى ما كنت عليه وأفضل وسأعمل على تعويضك عن كل هذا ..
المهم أنك الآن بخير .

وتراجعت برأسها إلى الخلف وهي تغغم مستطردة :

- الحمد لله لقد نجحنا .

نظر إليها (حسام) قائلاً :

- نجاح مؤقت .. فالخطوة القادمة هي الأهم والأخطر .. وأرجو من الله

أن يساعدنا على اجتيازها بأمان .



وفي اليوم التالي كان العالم يشاهد ويسمع على المحطات الفضائية

(حسام) و (دعاء) و (علاء) وهم يسردون الحقائق والأحداث التي

تعرضوا لها والأسرار الخفية لما يحدث في (العراق) .

وقد قام (حسام) بعرض محتويات السى دى الذى سجله وخفايا بعض العمليات التفجيرية التى تتم فى مناطق متفرقة من (العراق) بهدف إثارة الفتنة الطائفية وتأليب العراقيين بعضهم على بعض .

وكذلك عرض (علاء) آثار التعذيب الوحشى الذى تعرض له على يد الأمريكين .

كما أوضحت (دعاء) لإحضار (حسام) واعتقاله .

كاشفين بذلك حقيقة الدور الذى يلعبه العدوان الأمريكى بكل صورته وأهدافه ضد هذا البلد العربى الكبير وكذب الشعارات المزيفة التى ادعاها الأمريكان وحلفاؤهم عن الذهاب إلى (العراق) من أجل تدمير أسلحة الدمار الشامل والإتيان بالحرية والديمقراطية إلى هذه البلاد ودعاوى الإنسانية التى يترنمون بها .

وسرعان ما فجر هذا الحوار والفيلم الوثائقى موجة من الاستنكار العالمى والغضب العارم فى كل أنحاء العالم .

واندلعت المظاهرات المنددة بالعدوان ومؤامرات الاحتلال الغاشم فى كل مكان .

بينما سارع المتآمرون بتجنيد أجهزة الإعلام التابعة لهم عاملين باستماتة لطمس الحقائق والتخفيف من الأثر الذى أحدثه ذلك اللقاء التليفزيونى . وبعد أسبوعين من عرض هذا اللقاء الذى هز ضمير كل الشرفاء فى

العالم استلم (حسام) عمله فى المحطة الفضائية التى ظهر على شاشاتها .

كما انتقل (علاء) للإقامة فى (أسكتلندا) مع شقيقته .. حيث تعاقد مع إحدى دور النشر هناك لتأليف كتاب عن التجربة التى عاشها منذ اعتقاله .

ولم ينقض إلا وقت قصير حتى عقد قران (حسام) و (دعاء) فى حفل عرس بهيج حضره حشد كبير من مواطنى الجاليات العربية المختلفة معبرين عن مدى جبههم وتقديرهم للعروسين .

وكانه تكليل لذلك الحب الكبير الذى ربط بين قلبيهما بعد أن عاد القدر ليجمع بينهما من جديد .

واستلقت انتباه (حسام) من بين من حضروا حفل الزفاف ذلك الشخص الذى جاء ليصافحه ويهنئه بحرارة قائلاً :

- مبروك .. خالص تهانى يا صديقى .

شد (حسام) على يده قائلاً :

- أشكرك على كل ما قدمته .. فلو لا الدور الذى لعبته أنت وبقيّة الرفاق

من رجال ...

قاطعه الرجل قائلاً بصوت خافت :

- لا داع للاستطراد فقد قمنا بواجبنا فقط أما أنت فقد لعبت دور البطولة
التي قدمته على شاشة التلفاز .

هيا اذهب لعروسك فأنا أراها تبحث عنك هناك .

كان هذا الشخص هو أحد رجال المقاومة العراقية الذين قاموا بمهاجمة
جاليان الملاء الاستخبارات الأمريكية لتمكين (حسام) و (دعاء) وشقيقها من
هرب والعودة إلى أوروبا .

والذي تعرف عليه (حسام) خلال فترة تواجده في بغداد وقبل سفره إلى
نسا ونشأت بينهما صداقة حميمة جعلته يستعين به وبرفاقه لتدبير خطة
هرب وإنقاذ (علاء) .

وبينما (حسام) في طريقه للحاق بـ (دعاء) استوقفه شخص آخر كان
رفه جيذا .. وهو أحد عملاء الاستخبارات الروسية قائلاً :

- مبروك الزفاف .

نظر إليه شذراً وهو يقول :

- لا أظن أنك قطعت كل هذه المسافة إلى هنا من أجل تهنئتي بالزفاف .
قال الرجل بجدية :

- يوسفنى أنك خالفت اتفاقنا معك وعرضت ذلك السى دى قبل أن نسمح لك بذلك .

رد عليه بجديّة معاتلة قائلاً :

- لقد فعلت ما أملاه على ضميرى وما كان يتعين على أن أفعله منذ البداية .. أما اتفاقنا فقد أصبح ملغى ..

- ونحن أخبرناك من قبل أنك لا تستطيع أن تلغى اتفاقاً أبرمناه معك دون الرجوع إلينا .. لقد خدعتنا وأغضببتنا كثيراً مسيو (حسام) وهذا ليس بالأمر الهين كما تظن فنحن لسنا أقل خطراً عليك من الآخرين وعقابنا ليس أقل قسوة .

نظر إليه (حسام) بتحد قائلاً :

- هل جئت لتتهنئنى أم لتهددنى ؟

- بل لأحذرك .

- كنت أعرف أننا سنلتقى حتماً عاجلاً ..

وأعرف أيضاً أنكم لن ترفعوا أيديكم عنى بسهولة .. أريدك أن تسمعنى جيداً مسيو (كاربوف) .. أنا لم أتعرض حتى الآن فيما سرده على شاشات التلفاز لأى شيء يتعلق بالدور الذى لعبتموه معى فى تلك الأحداث .. ولم أحاول الإساءة إلى المظهر الدبلوماسى الذى تحرصون على التظاهر به

أمام العالم والأمريكيين خاصة .

لكن هذا لا ينفي أنني سجلت بعض مقابلاتنا والمناقشات التي تمت بيننا واحتفظت بها في عدة أماكن بعيدة لدى بعض الأصدقاء .. وأريد أن أضيف شيئاً آخر .

وأشار إلى الشخص الذي يقوم بتصويرهما بكاميرا الفيديو بين عدد من مصوري الحفل مردفاً :

- وسيضاف لتلك التسجيلات بالطبع ذلك اللقاء الحميم بيننا لإذاعة وعرض كل ذلك في حالة تعرضي أو تعرض أي شخص يمت لي بصلة لأي ضرر .

فالتعليمات الصادرة إلى من بحوزتهم التسجيلات تقضى بتقديمها على الفور إلى عدة قنوات فضائية ليكون هذا هو الجزء الثاني من لعبة القوى العظمى التي تلعبونها على مسرح الأحداث في العالم مع الأمريكان دون الرجوع إلى أحد ودون انتظار .

وأظن أن ذلك سيشكل ضرراً بالغاً بالنسبة لكم .. ويمكنك أن ترجع إلى رسائلك وتسالهم في هذا الشأن .

احتقن وجه الرجل بشدة وبدأ عليه ملامح الغضب وهو ينظر إليه بعينين بظاير منهما الشرر .

بينما قابل (حسام) غضبه بابتسامة تهكمية قائلاً :

- اعذرني يا صديقي فالمصلحة الشخصية اقتضت أن آخذ حذري وأحتاط
لما يمكن أن تفعلوه بي .. ولا تتس أنكم أنتم الذين علمتموني ذلك .

قال له غاضبًا :

- لولانا لكنت الآن في عداد الأموات .

- وأنا أشكركم على ما قدمتموه لي من مساعدة .. وأظن أنكم أيضًا
راضون بعض الشيء عن كشفى للوجه القبيح لعدوكم التقليدى .. خاصة
بعد أن تحدثوا كثيرًا عن تلك القوة المفرطة التى تستعملونها فى حربكم فى
الشيخان ووجهوا لكم العديد من الاتهامات بشأن انتهاكات حقوق الإنسان
فى بلادكم .

وذلك الحديث التليفزيونى الذى أجريناه منكم ورقة تجعلكم متعادلين
قليلاً فى هذا الشأن .

ويجعلنا متعادلين أيضًا فى نفس الوقت .

لقد ساعدتموني وأنا أيضًا خدمتكم بشكل مباشر أو غير مباشر ومن
الأفضل أن تنتهى العلاقة بيننا عند هذا الحد .

وعاد ليرسم الابتسامة على شفثيه مستطردًا :

- أشكرك على التهنة .

ثم تركه وانصرف عائداً إلى عروسه .. والتي أسرع لتتعلق بذراعه

قائلة :

- أين كنت كل هذا الوقت ؟ ومن هذا الذي كنت تتحدث معه ؟

لف ذراعه حول خصرها ليراقصها قائلاً :

- مجرد شخص جاء ليهنئني بالزواج وتحدث معي بشأن تصفية بعض

الحسابات القديمة بيننا .

نظرت إليه باستغراب قائلة :

- تسوية حسابات في ليلة كهذه .

ابتسم لها قائلاً :

- على أية حال فقد أنهيت الأمر معه وسوينا كل شيء .

بطريقة مرضية تطلعت إليه قائلة :

- (حسام) .. أما زال هناك ما تخشاه ؟

قال وهو يتمعن في وجهها :

- أجل .. عيون الحاسدين فقد ظفرت بعروس فاتنة .

ضحكت قائلة :

- لا بد أنهم لا يحسدونني أنا أيضاً على فوزي بهذا الفارس الوسيم .

قال لها مبتسماً :

- إذن فليموتوا بغيظهم .. المهم أن القدر أتاح لكلانا أن يحظى بالآخر

وتحقق حلمنا القديم .

- ما زال لدى حلم بأن ينال (العراق) حريته قريباً ويعود لينعم بالأمن

والسلام .

- أنا واثق أن تلك الأمنية ستتحقق قريباً جداً ووقتها سنزوره سوياً .

وسرعان ما أحاط بهم المدعوون ليشاركوهم الرقص والتهنئة .



« تمت بحمد الله »

لتحميل المزيد

من الروايات الحصرية

www.rivwaya.ga

السلسلة التي لا يجد الأب أو الأم
خرجاً من وجودها بالمنزل

124



شريف شوقي

وعدنا لنلتقى

وبقيت أحلم رغم عدم معقولية
الحلم بأن الحياة ستجمع بيننا
مرة أخرى .

وها نحن قد التقينا .. لكن من المتيقن
أننا سنفترق ثانية .. وهذا إحساس
لا أرغب في معاشته وتحمل
تبعاته مجدداً

5/1/017

 www.rewayatmasreya.com

 facebook.com/rewayatmasreya

الخط الساخن